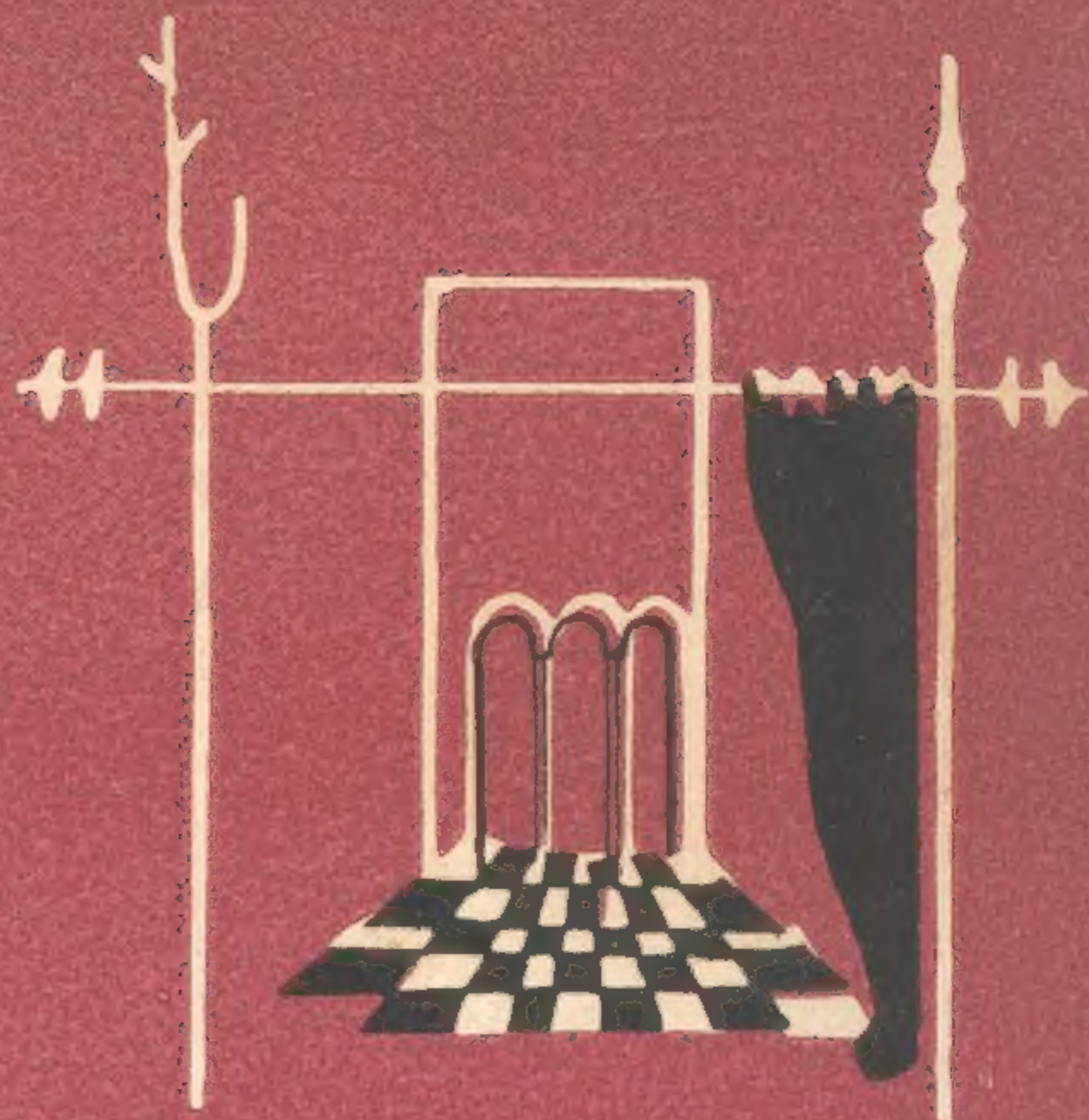


روائع المسرح العالمي

٥



بينلوي

تأليف : سومرست موم
ترجمة : مفيد الشوباشي
وتقديم : فؤاد اندراوس
مراجعة : فؤاد اندراوس

الجمهورية العربية السورية
وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

روائع المسرح العالمي
٥

پینیلوپی

تأليف

سومرست موم

مراجعة

فؤاد اندراوس

ترجمة

مفيد الشوباشي

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الثقافة والإرشاد القومي
الإدارة العامة للثقافة

پینیلوپی
ملہاۃ ذات ثلاثہ فصول

بقلم

سمرست موم

ہذہ ترجمۂ مسرحیۃ

PENELOPE

by

Somerset Maugham

مقدمة

كتب « سومرست موم » أكثر من خمس عشرة مسرحية جميعها من نوع الملهاة ، أو على وجه التحديد ، الملهاة السلوكية التي تبحث في سلوك الأفراد داخل نطاق بيئتهم . وبرغم أن هذه المسرحيات بلغت مستوى رفيعاً من الإتقان الفني ، وتقدمت بالأدب النقدي شوطاً جديراً بالعصر الراهن ، إلا أنها لم تحقق الشهرة التي تستحقها . وليس معنى هذا أنها ظلت مغمورة دون أن تحقق أى قسط من الشهرة ، فهي تتمتع بالتقدير الكبير ، ولكن دائرة هذا التقدير لم تتسع وتشمل الجماهير الحاشدة ، بل اقتصرت على ذوى الذوق الأدبي المرهف السامى الذى يدرك ويقدر ما دق حجمه وغلا ثمنه ، ولا يحتاج إلى دق الطبول ، أو إضرام النيران ليسمع ويحس . وهناك عوامل أدت هي الأخرى إلى الحد من شهرة مسرحيات « موم » ، ولعل أهمها ما يأتى :

أن المذاهب الجديدة فى الأدب زحفت على المسرح وصبغت الأعمال المسرحية بألوانها ، ووجهتها إلى مختلف اتجاهاتها . فظهرت المسرحيات المذهبية التي تأثر بعضها

بالمذهب الطبيعي ، وبعضها الآخر بالمذهب التعبيري ، أو بالمذهب السريالي أو الوجودي أو المستقبلي أو غير ذلك من المذاهب المستحدثة التي ملكت ألباب طلاب الجديد من رواد المسرح ، وهواة الأدب الذين أمرضت الحروب نفوسهم ، وأخرجتهم عن حالتهم الطبيعية . فلم يعودوا يتذوقون الأدب الأصيل الذي يعكس لهم الواقع في صدق وبساطة ، ويستهدف الكشف عن عيوبه وتحليلها .

ومن تلك العوامل أن مسرحيات « موم » ، أو ملاهيه السلوكية ، تقتصر على تصوير حياة الأسر الإنجليزية المتوسطة المستوى ، فمن الطبيعي والحال هذه أن تنال من اهتمام الإنجليز بها قدراً أكبر من اهتمام غيرهم . وأن يكونوا أقدر على فهمها والتأثر بها . ولكن هذا لا يمنع بالطبع أن يقبل عليها هواة الأدب الرفيع أيا كان موضوعها ، لا سيما وقد ارتفع أغلب هذه المسرحيات عن المستوى المحلي إلى المستوى العالمي .

ومن تلك العوامل أيضاً أن « موم » كتب قصصاً بلغ أسلوبها الفنى من الروعة والأصالة ما بهر الناس في جميع الأصقاع ، وخلق عقولهم ، وملك مشاعرهم . . . فلا عجب أن تشغل هذه القصص جموع الناس عن مسرحيات هذا الكاتب الخلاب ، لا سيما وهي تحاول تحليل النفس البشرية على الإطلاق ، وتفسير اتجاهاتها السلوكية ، ولا تقصر اهتمامها على تصوير الأسر الإنجليزية في قالب الملهاة الخفيفة الظلال التي

أصبح حتى النظارة المقبلون على مسرحيات الملاحى ،
يوثرون ملهاة الفكاهة Farce على سائر أنواعها .

ولا بد لنا قبل الإدلاء بكلمتنا عن الملهاة التى تقدم لها
أن نلقى بعض الضوء على شخصية «موم» وأعماله الأدبية
الأخرى لنصبح أقدر على فهم مضمونها واتجاهاتها .

* * *

أيستطيع المرء أن يتحرر من تأثير بيئته ؟ إن الواقع
يدحض من يرى استحالة ذلك . فكم من امرئ خرج على
تقاليد أهله ، وتطبع بغير طباعهم ، وسلك غير سلوكهم ،
ولكن المرء لا يستطيع أن يتحرر من أثر مجتمعه ، لأن
المجتمع يتضمن مختلف اتجاهات العصر الفكرية والسلوكية ،
ولا مفر للمرء من اتباع أحدها ، ومن التأثير بظروف حياته
وملابساتها كذلك .

وقد نشأ «وليم سومرست موم» أول ما نشأ فى باريس بين
مجتمع غريب عن قومه ، فتأثر به من دونهم ، ولا يست
حياته ظروف لا تتفق لكثيرين من الناس ، ثم تنقل بين
إنجلترا وألمانيا وجنوب فرنسا ، ولم يلبث أن عاد إلى باريس
حيث أقام عشر سنوات أخرى ، ثم طوّف فى مختلف بلاد
العالم ، وعاش ردهاً من الزمن فى جزر الهند الشرقية حيث
خبر حالها وطباع أهلها ، وعرف لغات كثيرة ، واتسع
اطلاعه ، وتنوعت معارفه ، ورحبت آفاق خبرته ، فهل من

عجب أن يحدث هذا أثره العميق في موهبته الفنية ، وقدرته الكتابية ، وأن ينعكس على مؤلفاته ويسمو بمستواها ؟

لقد شهدت باريس مولد هذا المؤلف القصصى والمسرحى الفذ في يوم ٢٥ من يناير سنة ١٨٧٤ . ولم يكن «موم» الولد البكر ، ولكنه كان الولد السادس لمستشار السفارة البريطانية في باريس ، وقضى طفولته في بيئة فرنسية بحت ، فتحدث بلغتها دون لغة قومه ، ولكن الأقدار عركته وعركها وهو غض الإهاب ، فماتت أمه بمرض السل وهو بعد في الثامنة ، ثم أصبح يتيم الوالدين وهو لم يتعد العاشرة .

وغادر باريس ، مهد طفولته ، ومرتع طوه البريء ، وعاد إلى إنجلترا ليعيش في بلده الغريب عنه ، ويقم بين أناس لا تربطهم به صلة معرفة وود ، وإن ربطتهم به صلة قرابة ودم .

تكفل به عمه ، وكان قس بلدة « ويتستابل » ، فعانى الطفل شظف العيش في هذه البيئة المتقشفة ، ولحق مرارة الوحدة ، وبكى باريس وأيامه الحلوة بها . وكثرت هواجسه خلال خلوته الطويلة بنفسه ، وأكثر ما أثار تلك الهواجس مرض الصدر الذي كان يهدده ، وعاهة ساقه العرجاء ، وقلة إلمامه باللغة الإنجليزية مما أثار سخرية الصبية منه .

وبعد أن طالت معاناته لتلك الحال ثلاث سنوات بطيئة مريرة ، رحل عن بلدة عمه إلى « كانتربرى » لتحصيل العلم في

« كينجز كولدج » وعرف منذ ذلك الحين حرفته المستقبلية ،
عرف أنه سيحترف الكتابة . وبعد أن أتم مرحلة التعليم
الثانوى سافر إلى « هايدلبرج » بألمانيا حيث التحق بجامعة ،
وواظب على محاضراتها حقبة من الزمن ، ولكنه لم يتخرج
فيها ، وإن كان قد حصل هناك وفرة من المعارف ، وفاز
بالكثير من التجارب ، وازدادت ثقافته غنى وتنوعاً .

وبرغم أن عمه كان رجل دين فقد أراد هذا العم أن يوفر
لابن أخيه نعيم الدنيا . وظل يلحّ عليه أن يلتحق بكلية عملية
ليضمن حرفة توفر له الربح الجزيل ، وزين له الالتحاق
بكلية الطب ، وما زال به حتى أقنعه برجاجة هذا الرأى .
ودرس « موم » الشاب الطب ، وتخرج في كليته ، ولكنه لم
يتخذ له عيادة قط ، ولم يمارس التطيب عقب تخرجه إلا إذا
استثنينا وقتاً غير طويل قضاه طيب امتياز في مستشفى حى
« لامبث » ، وهو أفقر أحياء لندن ... لقد حسب أن دراسة
الطب قد تنسيه الأدب ، وأن الطيب فيه سيخلف الأديب ،
ولكن الأدب عاد فغلب على الطب ، وصمد الأديب للطبيب
فلم يخل له مكانه . وهكذا وضح أن موهبة « موم » كانت أقوى
من عقله ، وهوايته أغلب من حب الطمأنينة وراحة البال .

وعاش فى إنجلترا بين ذكريات طفولته ، فازداد ضيقاً
بما يحيط به فى حاضره ، وساءت حالته النفسية فزادت حالته
الجهمانية سوءاً ، وتحرك داء صدره وتهدهد بخطر محقق .

ونصحه الأطباء أن يستشفى على شاطئ البحر المتوسط في جنوب فرنسا حيث الدفء وجمال الطبيعة . وسافر إلى هناك ، وقضى الصيف على رمال الشاطئ مستمتعاً بالبحر الذي كان يتبرج له كل آن في حلة جديدة الألوان ، وبالنسيم الجاف النقي الممتع . ولكن نفسه كانت تنازعه إلى باريس . وعند ما عاد المصطافون إلى قاعدة فرنسا وعروسها ، برّح به الحنين ، فلم يلبث أن لحق بهم إلى هناك ، وشرع على الفور في تحقيق ما كانت نفسه تهفو إليه وتصبو . . . مارس الرسم . . ولكنه لم يحقق فيه النجاح المأمول . فشرع في تأليف القصص والمسرحيات ، وظل يكدح في هذا المضمار عشر سنوات مستلهما مواطن جمال باريس ، وممضات تألقها الفكرى والروحي آنذاك .

ولكن الفنان الأصيل لا يستطيع أن يظل حبيساً في مكان واحد ولو كان ذلك المكان جنة الخلد . وتاق «موم» إلى الانطلاق وارتياح مختلف أقطار العالم ، والاستمتاع بمشاهدها، والتزوّد بمعارفها . ولم يكن ممثلي الوفاض إلى حد يستطيع معه تحقيق تلك الأمنية، فتحايل عليها بأن التحق بإحدى البواخر طيباً يزاول الطبيب مزاولة شكلية . وما كاد يستمتع برحلات هادئة إلى بلاد غربية جميلة يرفرف عليها السلام ، وتغمرها الطمأنينة ، حتى أشعل الحرب العاتية شياطينها تلهفاً على الكسب الحرام واغتصاب الحقوق ، وقضت ظروف

الحرب أن يعين الشاعر الكاتب الأديب عام ١٩١٤ ضابطاً
بالمخابرات الحربية البريطانية !

وإذا كانت الحرب تسقم الناس بأهوالها وفظائعها حتى
ولو لم يعرفوا تلك الأهوال والفظائع إلا بالسماع ، فكيف
تكون حال أديبنا منها وقد غرق في معمعانها إلى ذقنه ؟ إنها لم
لم تستثر كوامن إشفاقه وشجنه فحسب ، ولكنها أصابت
ضميره بأزمة لم يشف منها إلى اليوم وهو إذ أدان مشعل
نيرانها ، ودمغهم بالقسوة والوحشية ، وراهم مجبولين على
الشر والإجرام ، لم يقصر حكمه عليهم ، ولكنه سمجبه على
الناس أجمعين ، ودخل في روعه أن البشر جبلوا على الشر
لا فرق في ذلك بين المجرم العريق ، ورجل المجتمع المحسن
الكريم في مظهره دون مخبره

وقد زار روسيا خلال تلك الحرب العالمية الأولى ، ثم
رحل إلى الشرق الأقصى وسلخ هناك حقبة من الزمن . ولم
تقع عينه هناك على مناظر ساحرة غير مألوفة له فحسب ،
ولكنه خبر كذلك عادات وتقاليد غير معروفة له أيضاً ، بل
غريبة في نظره كل الغرابة ، فاكتسب بذلك معارف جديدة
ضمها إلى ذخير معارفه السابقة ليغترف منها كلما دعت حاجة
قصصه إلى ذلك .

مثل هذه الحياة المتنوعة ، المحتشدة الأحداث ، الغنية
التجارب ، تفتق حتى الذهن السقيم ، وتوقظ الوعي البليد ،

وتطلق الضيق الأفق من الحدود التي حشر فيها ، فما البال
بالأديب الأملعي الواعي البصير ؟ . . لقد أفاد « موم » من كل
ما أبصر واختبر أقصى فائدة تستخلص ، وظهر ذلك على
أوضح وجه فيما كتب .

اقتبس من المؤلفين الفرنسيين ذوقهم الفني ، ولباقهم في
التعبير ، وبلاغتهم في التبيين ، وابتكارهم للمعنى الأصيل .
وأخذ عن الإنجليز واقعيتهم الموضوعية ، وميلهم إلى السخرية
والتهكم ، وبراعتهم في الحوار ، وبساطتهم في الأداء ، مع
الإيجاز غير المخل بالمعنى ، وتعلم من الألمان تعمق الموضوع ،
ودقة الملاحظة ، ورجاحة العقل ، والتركيز والتغلغل إلى
التفاصيل الضرورية لإيضاح المعنى وإكماله . . . وتلقن عن
الشرق الحكم الموروثة ، والروحانيات النقية المترفعة عن
الحضيض الذي انحدر إليه بعض سادة الغرب المتكالبون على
الماديات .

وأين يظهر ذلك كله إذا لم يظهر في أعماله الأدبية ، وهي
ترجمة لخوارج نفسه ، وخواطر ذهنه ؟ ؟ لقد انعكست في
تلك الأعمال أناقة باريس ، وبراعة الإنجليز ، وتعمق الألمان ،
وسحر الشرق الغامض . وإذا كانت ظروف حياته قد أمدته
بأسباب النجاح في مهنته فإنه لم يتوان عن الإفادة من تلك
الأسباب قدر طاقته . . . بيد أن تلك الإفادة كادت تقتصر
على شكل أعماله الأدبية دون مضمونها ، ولا غرو فهو يرى

قيمة الأدب تنحصر في الشكل ، أما المضمون فمهمته خدمة الشكل ! . . .

إن قلم «موم» أشبه بريشة الرسام ، فكتابته تصوير دقيق واضح القسمات ، أخذ المشاهد ، ليس فيه حشواً واختصار ، ولا تنقصه الأصالة ، أو تشوبه الصنعة المفتعلة . أما الموضوع الذى يختاره فيلأتم موهبته التصويرية ، وأما معانيه فتروق وتشوق . . . ولكن ، ما مضمون كتاباته ؟ وعلى أى نحو يصور لنا البشرية ؟ . . . ما فحوى رسالته فى الحياة ؟ . . . نحن لن نتولى عنه شرح هذا ، ولكننا سندع الأمر له هو نفسه ، وذلك بتلخيص بعض أعماله الرئيسية ، وإبراز اتجاهاتها ومقاصدها . والقارئ الذى سيمحّص أعمال «موم» وهو واضح نصب عينيه حالته النفسية ، أو تشاؤمه المتولد عن ظروفه القاسية ، سيكون أقدر على فهم تلك المقاصد والاتجاهات . . . وأول ما لفت الناطقين بالإنجليزية إلى «موم» أسلوبه السهل الممتنع . ولا يقتصر مقصودنا من الأسلوب على صياغة العبارة فحسب ، ولكن صياغة القصة بأكملها . . . إنه يعرف كيف يستولى على لب القارئ ، ويبلغ أغوار قلبه ، وذلك ببراعته فى تصميم قصته على نحو فى رائع . . .

وقد قيل . عن أسلوبه البيانى إنه يبلغ من البساطة حداً يجعله أشبه بالحديث العادى . ولكن هذا الحديث العادى أشبه بنظم اللؤلؤ فى صياغته .

وقيل عن أسلوبه القصصى إن مؤلف القصة يتوارى فيه ويترك الشخص والشخوص والأحداث تتحدث عن نفسها دون أن يعكر صفوها معكّر

ولا يظن القارئ أن المقصود من ذلك أن يقف المؤلف من موضوع قصته موقفاً سلبياً . لا ، فمن واجب المؤلف أن يكون له رأى واضح فيما يكتب ، بيد أنه لا ينطق به ، وإنما يوجه الشخص والشخوص والأحداث ويدعها تتولى عنه ذلك إن حيدة المؤلف التى يتحدث عنها بعض النقاد ، وهم وخرافة ، وليس أدل على ذلك من أن « موم » ، وهو المشهود له بتلك الحيدة ، بل وهو من أنشط المشايخين لها ، بزّ جميع الكتاب فى اهتمامه بإقناع القارئ بفلسفته التشاؤمية ، وإلحاحه عليه فى ذلك .

* * *

تعد قصة « أغلال الإنسانية » Of Human Bondage آية الفنية الكبرى . وقد قال عنها أحد النقاد إنها أشبه بالأعمال الكلاسيكية وسط الآيات الأدبية الحديثة وهى أقرب إلى تصوير سيرة حياته منها إلى القصة وفق مفهومها المتعارف عليه . ولا تقتصر قيمتها على تعريف القارئ بلون الحياة التى عاشها ذلك المؤلف الكبير ، ولكنها تحلل شخصيته فتعين القارئ على تفهم معانيه وإدراك اتجاهاته وغاياته وما يترتب على ذلك من تفسير مقاصده المحتاجة إلى تبيين . لقد وصف

لنا «موم» في تلك القصة حياته الخشنة المريرة التي عاشها في كنف عمه ، وعبر عما كان يعانيه من ألم وعذاب بسبب عاهته ، وعما كان يداعبه من أمل في البرء منها ، ثم ما كان يصيبه بعد ذلك من خيبة أمل مضنية . . .

كان يتوسل إلى البرء من تلك العاهة بالدعوات والابتهالات والرياضة الروحية ، وكان يقضي ليلاته داعياً راجياً منهمر الدموع حتى إذا طلع الصباح هبّ من فراشه لهفّاً على الشفاء ، فإذا سار خطوة واحدة صدمه الواقع المرير ، وألقى به بين برائن اليأس من جديد . . . ومن ثم صار ينفس على أصحاب العافية عافيتهم ، وينظر إلى الدنيا بمنظار أسود . .

وفي عام ١٨٩٧ نشر أول قصة له باسم «ليزا حي لامبث» ، «Liza of Lambeth» وصور بها حياة الضنك والعوز في ذلك الحى الفقير ، وسجل خواطره وتجاربه المستخلصة من حياته وهو طبيب امتياز في مستشفى الحى المذكور . ولكن أولى قصصه التي فازت بالشهرة والرواج هي قصة «رجل شرف» «A Man of Honour» ، وقد صدرت طبعها الأولى عام ١٩٠٣ . . . وكان أول نجاح له في تصوير الشخصيات ، تصويره لشخصية «ليدى فردريك» في المسرحية المسماة باسمها . ثم تدفقت أعماله المسرحية التي استمتع النظارة بمشاهدتها في عواصم أوروبا

وأمریکا . وأغلب مسرحياته تصور كما قلنا حياة الأسرة
الإنجليزية المتوسطة الحال فى أسلوب نقدى فكه لاذع .
وما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى شرع
يكتب قصته المشهورة « القمروست بنسات » Moon and Six Pence
وفرغ من كتابتها وإصدارها عام ١٩١٩ . وتتميز هذه القصة
بأسلوبها الحار القوى التعبير ، ولعل ذلك يرجع إلى أن «موم»
عبر فى تلك القصة عن خوالج نفسه وأمانها ، بل لعله رسم
لنا نفسه إذ رسم بطلها .

كان هذا البطل من رجال المال ، يعمل نهاره ليجمع
قدر ما يستطيع من الأوراق المالية ، وتعمل زوجته قدر
ما تستطيع لتبديد ما يجمع . فهى لا تنقطع عن إقامة الحفلات
ودعوة أهل الوجاهة والأناقة إليها . والزوج يضيق بحفلاتها ،
وينفر من سراة القوم الذين تدعوهم . ورزق منها ولداً
وبنتاً . وصبر على تلك الحال حتى كبر ولداه ، وبلغا سن
الرشد . وعندئذ شعر أنه أدى واجبه حيال أسرته ، فقد أمتع
زوجته حقبة من الزمن ، وأحسن تربية ولديه ، وزودهما بما
يحتاجان إليه من علم ليشقّا طريقهما فى الحياة دون حاجة إلى
عونه شعر أنه أدى واجبه ، ومن حقه أن يشبع الآن
هواية ظلت تدعوه وتلح فى دعوتها طوال السنين التى ظل
يكدح خلالها ليوفر أسباب اللهو لأسرته تلك هى هواية
الرسم . . .

ويستطيع القارىء أن يدرك وجه الشبه بين مؤلف القصة وبطلها إذا علم أن «موم» كان يهوى الرسم إلى جانب هوايته للكتابة ، وأنه كان أيام عمله طبيباً فى مستشفى « لامبث » يتلهف على التفرغ للفن ، وأن سفره إلى باريس ، وتوطينه النفس على البقاء بها ، كان بقصد احتراف الرسم . . .

وهرب بطل القصة من زوجته وولديه ، وقصد إلى باريس موطن الفن والجمال ، وأخذ يمارس هناك العمل الذى ملك عليه لبه ، وحمله على مغادرة وطنه وأهله وزوجته وولديه . . . وبرغم أنه ابتدع أروع اللوحات ، فهو لم يحقق الشهرة والمجد ، بل ظل مغموراً لا يجد حتى ما يقيم أوده . .

أراد «موم» أن يصور فى تلك القصة حياة الرسام الفرنسى جوجان ، ولكنه ظل وهو يكتب قصته ينظر فى نفسه هو ، ويعبّر عن مطامعها وخوالجها ، ويصور مواهبها ، ويبرّر إخفاقها . . . كان يؤمل يوم سافر إلى باريس أن يصبح رساماً شهيراً ، ولكنه اضطر إلى التحوّل من ميدان الرسم إلى ميدان الكتابة بعد إخفاقه فى تحقيق ما يصبو إليه .

وتشير القصة إلى أن سبب إخفاق ذلك الرسام الكبير فى ميدان الحياة الفنية ، برغم نجاحه المنقطع النظير فى ميدان الإبداع الفنى ، يرجع إلى تحليقه فوق مستوى الذوق العام ، وإلى إعطاء الفن قسطه من الإتيقان دون تملق الرغبات

الجاهلية . أما الرسامون الذين أصابوا الغنى والشهرة ، في
القصة ، فهم الذين تاجروا بفنهم ، ولم يستهدفوا — كما قال
المؤلف — غير الكسب الوفير . . . عاش الرسام الكبير
عيشة الفقير الحقير ، وعضه الجوع فراح يفرض على
الرسامين المشهورين دفع بعض المال ليسد رمقه . كان يأمر
الواحد منهم أن يدفع له المبلغ الذي يحدده فيدعن الرسام
الناجح للأمر مدركاً مكانة أمره الفنية ، بل شاعراً كأنه
اغتنب منه الغنى والشهرة . أما ذلك المخفق الخائب ، في نظر
الجهلاء ، فكان يستشعر القوة إذ يأمر أولئك الناجحين
فيطيعونه ، وهل كان لهم محيص من الإذعان له ؟ ألم يكونوا
يعرفون حقيقة قدره وقدرهم ؟ وهل من عجب أن يضعف
الضعيف أمام قوة القوى ؟

ضاق بباريس ومجتها بعد أن كابد فيها غضاضة الإخفاق
والوحدة ، ورحل عنها إلى بلدة نائية في جزيرة من جزر
الهند الشرقية ، وتزوج بفتاة من أهالي تلك البلاد . وهدأت
نفسه هناك إذ لاءم بين نفسه وبين بيئته الجديدة . . كان
في باريس يعيش مغموراً بين إمعات مشهورين ، ولكنه
يعيش الآن مغموراً بين أشقياء مثله مغمورين . . وخلا
للفن ، وخلا الفن له ، وراح يرسم لا لشيء إلا لمتعة الرسم . .
راح يرسم لنفسه ، منعزلاً عن العالم ، متعالياً عما فيه من خير
وشر ، وحسن وقبح ، ثم تفرغ لعمله الأكبر . لم يكتف

بلوحة يلوّنها ، ولكنه راح يصور على حائط داره المتضعة
خواطر ذهنه غير المشتغل إلا بذاته ، ويعبر عن أحاسيس
عقله الباطن وأوهامه . . . وراح يسجل هذا وذاك في صور
بلغت من الإتقان الفنى والروعة الجمالية أوجهما . . رسم
ذلك كله لنفسه ، وحبسه عن العيون داخل داره ، وقضى
ألا يراه الناس إلا من يحج إليه متعبداً متهجداً . . ولكن وباء
دهم تلك الجزيرة وحصد أهلها حصداً ، وجاءت بعثة
طبية لمقاومته ، ورأت فيما رأت من وسائل الوقاية أن تحرق
البيوت الموبوءة ، وحرقت دار الفنان دون أن ترعى في ذلك
للفن حرمة ، وأتلفت النيران الآية الفنية الكبرى في سبيل
الحفاظ على بضع آلاف من حيوات التافهين من البشر . . .
(وإذا كان المؤلف لم يصرح بذلك فهو يومئ إليه ، وتطبيقاً
لمذهب الفن للفن ، يضع الفن فوق الحياة) .

لقد فسرت لنا هذه القصة جوانب متعددة من عقلية
«موم» ونفسيته . فهو لم يبرر لنا فيها إخفاقه المبكر في ميدان
الرسم فحسب ، ولكنه فسر مذهب في الفن وهو « مذهب
الفن للفن » . فالفنان الأصيل في نظره لا يفعل بما يفعله به
الناس . أو هو يبتعد عن الناس وينعزل على قدر ما يحققه
من سمو فنى . . . إنه يعيش لفنه ، أو يعيش لنفسه ، وتظل
آياته الفنية فوق متناول الناس ، أو خافية على الناس حتى يأتى
عليها البلى ! . . . ويترتب على ذلك دون شك أنه على قدر

شعوره بعذاب الوحدة ، ووحشة الانزواء ، وجوع الجسد والروح ، يكون خقه على الناس ، وتجسيمه لهفواتهم وهناتهم . . .

* * *

وتطبيقاً لمذهب الفن للفن أيضاً يختار «موم» لقصصه الموضوع الذى يصلح للبناء الفنى بصرف النظر عن مختلف الاعتراضات الأدبية والتقليدية . ومن أمثلة ذلك قصته « الكعك والجة » Cakes and Ale التى أصدرها عام ١٩٣٠ وصور فيها شخصية الكاتب الإنجليزى الكبير « توماس هاردى » ، وفصح أسرار حياته الخاصة ، وعرض بزواجه الشابة الفاتنة .

وتتلخص القصة فى أن كاتباً مرموقاً ، برغم تفاهته تزوج بعد أن تجاوز سن الكهولة ، بصبية حسنة ، وتدلّه فى حبها إلى حد أن أبى الوقوف دون تحقيق أية رغبة من رغباتها ، فتركها تفرح وتستمتع بأية متعة تهفو إليها نفسها . . . رزقت الزوجة طفلاً تعلقت به تعلق الأم خالية القلب . ولكن الطفل مات فحزنت عليه حزناً مبرحاً ، وناءت بحزنها الكبير فراحت تلتمس العزاء . . . ولكن ، كيف يكون العزاء ؟ أسلمت نفسها لأول من صادفت . . . وسألها الرجل وهو بهم بالانصراف عنها : « لماذا تخونين زوجك ؟ » . فأجابته فى دهشة وامتعاض : « أخون زوجى ؟ ! . . . هذه كلمة

كبيرة . . . أنا لا أخون زوجي ، فهو على علم بكل ما
أقترف . . . أنا أعترف له بكل شيء ! ! . . . ، أما الزوج
فيرر مسلكه بأن زوجته الحسناء أشبه بالوردة التي تفتح
للناس ، ولا تستطيع أن تظن عليهم بحسنا وعبرها ! !
ويكرر «موم» في هذه القصة نفس المعنى الذي ذكره في
قصته عن سيرة الرسام جوجان . فهو يصف ذلك الكاتب
الشهير بالتفاهة والإسفاف ، ويقول عن هاتين الصفتين
إنهما اللتان تجذبان أنظار الجماهير . .

* * *

أراد «موم» أن يكون في قصصه محلاً لنفوس البشر ،
ناقداً لسلوكهم ، مصوراً لحقيقة طباعهم وسجاياهم . ولكن
ظروف حياته التي تحدثنا عنها جعلته لا ينظر إلا إلى جوانب
النقص والعيب والشر فيهم ، مغضياً النظر عن جوانبهم
الأخرى الطيبة الفاضلة الخيرة . . . لقد جعلت تلك الظروف
منه ناقداً متشائماً ، كلبى النزعة ، هدام الغاية . فهو إذ يضطر
إلى الاعتراف بميل بعض النفوس إلى الخير وتشبهاً بالفضيلة
يصور ذلك على أنه عرض لا يلبث أن يتبدد أمام الشر الذي
جبلت عليه النفوس ، وقد يصوره نزعة عارضة غير طبيعية
لا تلبث النفوس أن تعود بعدها إلى حالتها الأولى . . . وخير
مصدق على ذلك ما جاء بقصته (القناع الموه) The
Painted Veil . . . تدور حوادث هذه القصة في ثغر من ثغور

الشرق الأقصى ، وتبدأ بمشهد مثير . . . زوجة تخون قرينها
في منزل الزوجية . . . كانت مرتبة بين أحضان عشيقها في
غرفة الجلوس حينما شاهدت ستار الباب يتحرك ، أو خيل
إليها أنه يتحرك ، فأفاقت مرتبة من نشوة الحب الآثم ،
وأفضت إلى عشيقها بما رآته ، أو بما خيل إليها أنها رآته ،
وبرغم فرع العشيق راح يطمئنها ويطمئن نفسه بأن زوجها
لن يعود من رحلته إلا بعد أيام ، وأن ما رآته محض أوهام .
ولكن الزوج كان قد رآها متلبسة بالخيانة فعلا ، وأنبأها
أنه كان على علم من قبل بعلاقتها الآثمة بذلك العشيق ، وأنه
سيسافر متطوعاً إلى بلاد نائية لمكافحة وباء انتشر فيها .
فاعترفت له بأنها لم تعد تحبه ، وأنها تطلب الطلاق لتزوج
من حبيبها الجديد . . . ولكن الزوج الذي راعى العشرة
القديمة أخبرها أنه لن يرغمها على البقاء معه ، فهو على أتم
استعداد لتطليقها بشرط أن يتعهد ذلك العاشق أن يتزوجها
بعد طلاقها . . . وغمرت الفرحة قلب المرأة التي أعماها
الحب ، وطارَت إلى حبيبها تزف إليه هذه البشري ، فلم
يبق بينهما وبين السعادة الكاملة إلا أن يكتب لها كلمتين
يتعهد فيهما بقبوله الزواج بها . . . وبهت تلك الغافلة إذ
رأت وجه العاشق المدله يكفهر من حيث قدرت أنه
سيتهلل . . . وكادت تشك في صدق أذنيها حين سمعته يقول
إنه لا يستطيع التوقيع على مثل هذا التعهد . ونظرت إليه

بازدراء وهو يحاول تبرير امتناعه عن إجابة طلبها بأن الأمر يتعلق بسمعتها قبل أن يتعلق بسمعته ، وبمستقبلها قبل أن يتعلق بمستقبله .

وعادت إلى بيتها فوجدته خالياً ، وأوحشها ألا ترى زوجها فيه . وظهر لها الفرق الواضح بين ذلك الزوج الذى راعى شعورها ، وأبقى على كرامتها ، وبين ذلك العاشق الفاسق الذى آذى شعورها وأهدر كرامتها وعقدت عزمها عندئذ على التكفير عن خطيئتها بالإقدام على أمر خطير عقدت عزمها على التطوع هى الأخرى لمكافحة الوباء فلما أن يقضى عليها الوباء فيطهرها حينئذ الموت ، وإما أن تناضل مع المناضلين حتى تغلب عليه ، فيخفف عملها الطيب من فداحة جرمها . . .

وفاجأت زوجها بمقدمها ، ولم تكن تتوقع ترحيبه بها ، فقابلها بإعراض وازدراء لم تتوقعهما كذلك . وقال لها فيما قال إنها جاءت إلى مكان لا موضع فيه لعبث العابثات ، ولكن المرأة الشقيّة التى برّحت بها الإهانة والعار أكدت له ندمها وتوبتها . وطالعت فى نظراته الإنكار فراحت تلح عليه أن يجربها ، وتقسم أنها جاءت تنشد الموت لتمحو عارها وأذعن الزوج لتوسلاتها ، وعملت معه جنباً إلى جنب فى مكافحة الوباء اللعين ، فكانت تضرم النار فى الأكواخ الموبوءة ، وتنقل المصابين بالداء إلى المستشفى ، وتنفق الليل

في السهر عليهم ، وتغالب التعب والنعاس ، وتواجه الموت متحدية ، بل متمنية أن يختطفها وينقذها من عذابها النفسى . ولم تغفل عين الزوج عن مظهر زوجته ومخبرها . كان يبصر جهادها المستميت في سبيل إنقاذ المعرضين للموت . وكان يرى المعركة الناشبة في نفسها وقد أثارها تأنيب ضميرها ، فارتاحت نفسه لما أبصر ورأى ، وتبدد حنقه عليها ، وغفر لها ما سلف وتعرضت الزوجة لمحنة طهرت ما بقى بنفسها من درن . فقد أصاب الوباء زوجها فقامت على تمريضه ، وسهرت عليه الليالى الطوال ، وتمزقت نفسها أسى عليه ، وإشفاقاً على نفسها من بعده . ولكن الداء ألح عليه ، وعز الشفاء ، وتربص الموت للاتقضاض عليه . . وقال الزوج لزوجته وهو يسلم الروح : إنه يموت راضى النفس ، مستريح البال ، بعد أن استوثق من توبتها ، وبعد أن رأى من بذلها وإيثارها ما هو جدير بالتكفير عن أكبر الذنوب . . وأسلم الزوج الروح وهو مطمئن على زوجته . وأقسمت الأرملة على جثته أن تقضى ما بقى من أيامها في خدمة الفضيلة والخير .

عادت إلى بيتها وحيدة كسيرة القلب . وأخذت تستعد للسفر إلى إنجلترا مسقط رأسها ، وصك أذنها على غرة طرق على الباب بينما كادت تفرغ من إعداد حقائبها . وفوجئت بما ارتعدت له فرائصها فرعاً وغضباً . . رأت الرجل الذى

خدعها وخذلها وأهانها يدخل عليها الغرفة باسم الثغر ، مشرق الوجه ، وكأنما العلاقة القديمة بينهما ما زالت على عهدهما دون أن يطرأ عليها ما يعكر صفوها ..

صرخت في وجهه « ماذا تريد ؟ لا تدنس هذا المكان بوجودك ... اخرج » ، وابتلع الرجل إهانتها ، وابتسم لها حتى لكأنها تصد عنه دلالة .. وأقبل عليها وهي تراجع مذعورة .. ولامها على سوء لقاءها له . وأقسم أنه لم يذق للنوم وراحة البال طعماً منذ رحيلها ، وأنه ازداد في غيبتها تعلقاً بها ولهفة عليها ... وكانت تدفعه بعيداً عنها وهو يحاول ضمها وتقبيلها . وظل النضال بينهما على أشده ، وخوفها يزيدها ضعفاً ، ورغبته المتأججة تزيده قوة وبطشاً . وتمكن بعد جهد أن يطوق خصرها بذراعيه القويتين ، وأن يضمها إلى صدره ، فارتجفت وتخاذلت ... ثم تمكن ثغره من ثغرها فأنهارت البقية الباقية من مقاومتها ...

ولم تستطع الحراك على أثر مغادرته الغرفة ، فقد سحقها الحزى والعار واليأس ...

ولا يظن القارئ أن «موم» عرض هذه المرأة في قصته على أنها نموذج لصنف من النساء ، ولكنه عرضها بحسبانها أنموذجاً لبنات حواء عامة ... فهذا هو رأيي في الإنسان قاطبة سواء في ذلك الرجل والأنثى ، وليس أدل على هذا من الرجوع إلى قصصه وتمحيصها ، فهي تتضح دائماً بتلك النزعة

التشاؤمية الكلية المنكرة لوجود الخير والفضيلة .
وسنقتصر هنا على ضرب عدد قليل من الأمثلة لذلك ،
ففى قصته : « المطر » The Rain نجد على ظهر سفينة تمخر
المحيط الهادى قساً لم يتوان عن تأدية مهمته الدينية حتى أثناء
سفره . فهو لا يكف عن الإثقال على رفقاته بمواعظه التى
لا ينضب لها معين . وكانت السفينة تضم فيمن تضمه من
المسافرين غانية تحترف الرقص لعلها كانت أولى من غيرها
بوعظ القس ، ولكن هذا الواعظ الورع ازدراها ، وأشاح
بوجهه عنها بدل العطف عليها ومحاولة هدايتها .

رست السفينة فى أحد ثغور الشرق الأقصى ، ولم يكن
به إلا نزل واحد يؤوى أولئك المسافرين . وانهمر وقتذاك
مطر كأنه يتدفق من أفواه القرب . وهرع الجميع إلى ذلك
المنزل ، ولكن القس أبى على الغانية الراقصة أن يضمها وإياه
سقف واحد . . . فالشيطان يتقمص جسدها ! ومن المستحيل
أن يرضى مثله برفقة الشيطان ! . . وتوسط لديه بعض
الحاضرين وقالوا إنه يحكم عليها بالموت إذا تركها تبيت فى
العراء تحت وابل ذلك الغيث المنهمر . وقبيل بعد لآى أن
تبيت ليلتها فى النزل على أن تبحث لها فى الصباح عن مكان
آخر تنزل فيه .

وجلس القس فى بهو النزل ، ورشقت عيناه الغانية مرة
بعد مرة ، وراها تقوم وتخرج من البهو ، وخفق قلبه لمشيئها

الراقصة التي زادت قطوف جسدها حسناً ورواء
وتقمّص الشيطان جسده هو أيضاً ، ولذعت جوانبه رغبة
ملحة في لمس هذه القطوف اليانعة ، ولم يستطع كبج جماح
نفسه ، وأقبل عليها يلاطفها متظاهراً بأنه يحاول هدايتها
وفي الهزيع الثاني من الليل سمع جميع من في النزل صراخاً
صادراً من غرفة الغانية ، وهرعوا إلى مصدر الصوت ،
فوجدوا باب الغرفة ينفتح بعنف ، ويخرج منه القس مهرولاً
وهو يحمي رأسه بيديه ، ومن ورائه الغانية تضربه وتصرخ :
« أتدعى الورع وأنت أفسق الفاسقين ، وأحط خلق الله
أجمعين ؟ ! . . . » .

وفي إحدى قصص هذا المؤلف المتشائم نجد رجلاً يبدو
طيباً خيراً ، ولكن نفسه تنطوى على الشر برغم ذلك المظهر
الخلاب . كان رجل أعمال ناجح واسع الثراء ، جاءه مرة
شاب معوز يطلب لديه عملاً ليرتق . وألح عليه في الطلب
حتى ضايقه بالحاح . فخطر للرجل فكرة جهنمية أمدته
بلذة شيطانية . راهن الفتي على قدر كبير من المال يعطيه
إياه فيما إذا استطاع (أى الفتي) أن ينزل إلى البحر ويقطع
المسافة من الشاطئ إلى الفئار سباحة ، وكانت المسافة
طويلة ، والأمواج العالية المتكسرة على الصخور المحيطة
بالفئار تدّخر للمقرب منها موتاً محققاً . وقبل الفتي الرهان
الإجرامى وقد تمكن منه الخور واليأس . وسبح حتى وصل

إلى المكان ال هيب ، فقدفت به الأمواج القاسية إلى الصخور ،
وظلت تجره وتقذفها به دواليك حتى هشمته ثم ابتلعتة . . .
وللمؤلف قصة قصيرة أخرى صاغها على عكس القصة
القصيرة المشار إليها وإن كان قد استدل بها على نفس المدلول .
ومحصلها أن أفاكاً خلاب الأسلوب في معاملته للناس ، استرعى
انتباه المسافرين معه في رحلة على ظهر إحدى البواخر العابرة
للمحيطات . وانخرط إحدى الليالي في سلك مجلس يضم
امراً وزوجها وبعض أصدقائهما . وأخذ القوم يسمرون ،
وتحدث الرجل عن نفسه ، وتباهى بأن خبرته في تمييز
الجواهر لا تدانيها خبرة حتى أنه يستطيع كشف الزائف منها
لأول وهلة دون الاستعانة بمنظار . وكانت الزوجة ترتدى
عقداً يتلألأ تحت أضواء الثريات الساطعة ، فراهنه الزوج
على معرفة حقيقة ذلك العقد أهو زائف أم أصيل . وامتقع
وجه الزوجة . فقد كانت توهم زوجها أن المجوهرات التي
تزين بها زائفة ، وأنها تشتريها بثمن بخس ، في حين أنها
كانت هدايا من عشيقها الموسر . . . ونظر الرجل إلى
العقد ، ولم تغب عنه نظرة توصل صوبتها الزوجة إليه . وكان
من عادته أن يبيع أعز الحرمات في سبيل الفوز بأي مبلغ
من المال . . . ولكنه تردد هذه المرة ، وحزت نظرة المرأة
في نفسه . . . وأسرع إلى قوله إن العقد زائف . وخسر
الرهان . . . وتنفست المرأة الحائرة الصعداء . . . هكذا

يعرض «موم» الأمور . فهو يعد التستر على الزوجة الحائنة عملاً كريماً . ويرى أن الذى قام بهذا العمل الكريم رجل خسيس خرج على عادته لنزوة طارئة لا لأن الخير والشر يعتملان فى النفوس . . . فالحسة ديدن النفوس ، والنخوة نزوة عارضة ! ! .

* * *

ويضيق «موم» بمختلف المجتمعات سواء أكانت متمسكة بالتقاليد الموروثة ، والقواعد الأخلاقية المقررة ، أم خارجة عليها . وقد عبر عن ذلك فى قصته « عطلة كريسماس » . وهى قصة فتي إنجليزى أراد والداه أن يظهرهما رضاهما عنه . فسمحا له أن يقضى عطلة رأس السنة فى باريس . وهناك ارتاد المراقص الباريسية ، وأذهله ما رأى فيها من أفانين اللهو والفجور وهو الإنجليزى البوجوازى الذى عاش بين مجتمع محافظ متزمت . . عرف فى أحد تلك المراقص بنتاً من بنات اللهو ، وجذبه إليها ما تميزت به من رقة ودمائة وجمال وسألها عن الظروف التى انتهت بها إلى احتراف الرقص فروت له قصتها . قالت إنها روسية الجنس هاجرت إلى باريس لأسباب سياسية ، ومال قلبها إلى فتي باريسى وسيم وبادلها الفتى حباً بحب ، وكانت الفتاة وقتذاك شريفة متمسكة بأهداب الفضيلة . ولم يكن محيص من أن تنتهى مثل هذه العلاقة بالزواج . وكانت أم الفتى قمينة أن تمنع فى أن يعقد

ابنها على فتاة أجنبية ، وهى العجوز المتمسكة بتقاليد قومها .
ولكنها أعجبت بالفتاة ، ورضيت بها زوجة لوحيدها . وأراد
الزوج بعد عقد الزواج أن يوفر لزوجته الرفاهية وبحبوحة
العيش ، فلم يجد لذلك وسيلة أيسر من السرقة . . . سرق
وقتل ضحيته ، ووقع فى قبضة الشرطة ، وزُج به فى
السجن . وحز فى نفس الزوجة العاشقة أن يرتكب حبيبها هذا
الإثم . . . اعترفت عندئذ أن تذل نفسها لتكفر عن إثم
زوجها . . . وهكذا باعت نفسها للشيطان ، وأهدرت كرامتها
فى ميدان الرذيلة ! . . .

وبكت الفتاة بعد أن روت قصتها . . . وتساءل الفتى
الإنجليزى أهذه قصة حقيقية ؟ . . . لا ، بل قصة ملفقة
تستهدف بها الفتاة تبرير العهر والفجور . . .

وعاد الفتى إلى وطنه ، واستأنف حياته بين مجتمعه مرتاحا
إلى ابتعاده عن البيئة التى عاش بين ظهرانيها . . . ولكنه بدأ
يرى ما لم يكن يراه قبل تجاربه الباريسية . رأى حياة قومه
تقوم على الرياء والنفاق أيضاً رغم مظهرها المحافظ المتزمت .
فأنف من تلك الحياة مثلما أنف من حياة المجتمع الباريسى . . .
ولكن الذى يذكر «لوم» بالحمد أنه فى معرض الحديث
عن العلاقة بين المتحضرين البيض والأجناس الأخرى ، يشدد
النكير على قومه البيض ، ويعطف على الأجناس المتخلفة ،
وكأنه يريد أن يقول إن الحضارة الغربية هى التى تضاعف

الفساد بغرس الزهو الباطل والخطرسة الممقوتة في النفوس . وقد
وضح رأيه هذا في قصته المعروفة « الرسالة » The Letter .
وحوادث هذه القصة تقع أيضاً في إحدى جزر الهند الشرقية .
ومحصلها أن امرأة انجليزية قتلت أحد أصدقاء زوجها بينما
كان هذا الأخير على سفر ، وادعت في التحقيق أنه زارها
منتهزاً فرصة غياب زوجها وحاول اغتصابها فاضطرت إلى
إطلاق الرصاص عليه صونا لعرضها ، ودفاعاً عن شرفها .
وبدأ هذا الدفاع مقنعاً للمحقق ، ولكن الحقيقة كانت على
خلاف ذلك . فالقتيل كان عشيق القاتلة . وكانت تزوره في
بيته خفية لترشف من سلاف الحب الحرام ، وأحدثت الأيام
أثرها في تلك العلاقة ، وأخذ الرجل يمل تلك الزوجة
الغادرة . ثم صارحها يوماً بأنه لم يعد يحبها ، وأنه يريد قطع
علاقته بها . وحز ذلك في نفسها ، ولكن الذي أطاش صوابها
أنه استبدل بها فتاة « أسبوية » ! .. أهنأك إهانة يمكن أن
تلحق « سيدة » أوروبية أبلغ من تلك الأهانة ؟ .. أترقد تلك
الخدام الصفراء القذرة في نفس الفراش الذي كانت ترقد
هي فيه ؟ ... أتحل محلها بين أحضان الرجل الذي تحبه ؟ ...
أيوثرها ذلك الرجل عليها ؟ ! . صممت على أن تغسل تلك
الإهانة بالدم ، فكتبت إلى الرجل رسالة تدعوه فيها إلى
زيارتها ، وتنحل لذلك عنراً . . . ونفذت الخطة الجهنمية
التي أعدتها ، وثارت لكرامتها المهذرة . . . وقتلت الرجل .

وجاءها ذات يوم رسول من قبل غريمها الأسيوية ،
وأخبرها أن هذه المرأة تحتفظ « بالرسالة » التي سبق أن
بعثت بها للقتيل ، وأن المرأة المذكورة على استعداد لرد
الرسالة إليها بشرط أن تأتي إليها بنفسها ، وتنحن أمامها ،
وتطلب ذلك منها جاثية على ركبتيها وتغلب جبن السيدة
الأوربية على كرامتها المصطنعة ، وذهبت إلى المرأة التي تحتقرها
وتمقتها ، وانحنت أمامها مزدودة كبرياءها ، وتوسلت إليها
أن ترد لها رسالتها جاثية على قدميها

* * *

ومن النقد المرير الذي وجهه «موم» للمجتمع الأوربي أن
العلم يضر بصاحبه بينما الجهل يعود عليه بالخير الجزيل . وقد
عبر عن ذلك في قصة قصيرة ملخصها أن البابا أصدر أمراً
بألا يشغل وظيفة شماس في مختلف الكنائس إلا من يحسن
القراءة والكتابة ، وأعطى مهلة للشمامسة الأميين يحصلون
خلالها العلم الذي فاتهم أن يحصلوه ، وانهقد لهم امتحان بعد
انقضاء المهلة ، ورسب أحدهم في الامتحان ومنح مهلة
أخرى ، ولكن تحصيل العلم استعصى عليه ورسب مرة
ثانية وفصل من خدمة الكنيسة . قصد بعد فصله إلى
داره كسير القلب ، محطم النفس ، وهفت نفسه في الطريق
إلى لفافة يدخنها . وجعل يتلفت في أثناء سيره يمينا وشمالا لعل

عينه تقع على دكان سجائر ، ولكنه لم يجد ما ينشده . وكان جيبه منتفخاً حين ذاك بمبلغ المكافأة التي حصل عليها نظير خدمته الطويلة ، ولم يستقر رأيه على كيفية استثمارها ، فخطر له عندئذ أن يفتح دكاناً لبيع السجائر في ذلك الشارع ونفذ هذه الفكرة ، ونجح في هذه التجارة ، وتضاعفت أرباحه . وأنشأ دكاناً جديداً لبيع السجائر في مكان آخر ، وزوده بالحلوى واللعب لبيعها إلى الأطفال ، وظل ربحه في ازدياد مطرد وقصد يوماً إلى البنك ليسحب منه مبلغاً من المال يضيفه إلى رأسماله التجاري ، واستقبله مدير البنك في مكتبه ، وأمر باستحضار المبلغ المطلوب ، وسلمه للتاجر الثرى وطلب إليه توقيع إيصال بتسلم المبلغ ، ولكن التاجر اعتذر بجهله للقراءة والكتابة وعجب مدير البنك لذلك ، وسأله متعجباً : « أتتحقق هذا النجاح الضخم في التجارة وأنت أمي . . . ؟ فكيف تكون حالك لو أنك متعلم ! ؟ . . . » فأجاب الرجل ببساطة « أكون إلى الآن شماساً للكنيسة . . . » .

* * *

أراد «موم» من كتابة القصص المشار إليها أن يتحف العالم بأدب واقعي يصور نفوس البشر على حقيقتها ، ولا شك أنه قدم لنا صوراً فنية صادقة لكل ما صورته نقول صادقة من باب التجاوز لأنها تصور ناحية من الأصل ، وتهمل

نواحيه الأخرى . فهي تصدق في تصوير الناحية التي عكستها ، وهي تكذب حين توهمنا أن هذا هو الأصل على حقيقته ، لأن النقصان يعتورها حين تعرض الجزء على أنه كل . . أليست تجزئ الأصل وتشوّهه ؟ ؟ إن هذا الفنان العملاق يسلط قدرته التصويرية الحارقة على جانب من النفوس البشرية ، وهو الجانب الضعيف ، في حين أن هذه النفوس تحتزن جميع الميول التي لا يظهر منها إلا ما تبرزه ظروف الإنسان وملابس حياته . والإنسان خير بطبعه ، ولا تستثير شروره إلا ظروف خارجية طارئة ، أو رغبات جائعة لم تشبع .

بدأ «موم» حياته الفنية آملاً أن يصبح كاتباً واقعياً صادقاً ، وختمها كاتباً مثالياً يهرب من الحقيقة ويشطح وراء تصاوير الأوهام . . . لقد أصبح كذلك في أهم قصة من قصصه الأخيرة ، وهي قصة «حد موسى» .

تصور هذه القصة فتى أمريكياً ضاق بالحياة المادية المصطنعة في بلاده ، وتعطشت روحه إلى الانطلاق من قيودها الثقيلة المرهقة ، وتطلعت إلى ما وراء سياج ماديها المرهقة ، فانطلق الفتى في فجاج الأرض باحثاً عن الحق ، راجياً أن يجد لدى وقوفه عليه راحة البال بعد ما عانى من السأم والضيق ما عانى بسبب خيبة أمله في الحب ، وفي السعادة وراحة البال . وطوى السهول والجبال ، وقطع الأنهار والمحيطات ،

وطوف في كل صقع ، ودرس مختلف العقائد والآراء
والتقاليد منقياً عن ذلك الحق المنشود ، ولكنه لم يجد ما يشفى
ظمأه المبرح ، ويعيد الطمأنينة إلى نفسه المعذبة حتى نزل
بلاد الهند ، والتقى هناك على ظهر جبل عال ناء خاو من عزل
عن الناس ، بزاهد حكيم منقطع للعبادة والرياضة الروحية .
ووقف من هذا العالم على فلسفة البوذية والصوفية ، فوجد
فيها ما ينشده ، وارتوت نفسه الطمأنة ، وارتاح باله المبلبل . .
ويعود من الهند إلى موطنه وقد أصبح إنساناً آخر مختلفاً كل
الاختلاف عما كان عليه . . . أحس أنه تطهر من أدناس
الإنسان وأوصابه ، وشفى من شر أدواء البشر وهو داء
الغرور ، وأصبح لا يبالي بحماقات الناس وتفاهاتهم ، بل
أصبح يشفق عليهم من تباهم برغم عجزهم وضعفهم .
هذا هو رأى «موم» في البشرية ، وفي وسيلة تطييبها
وتطهيرها من ذنوبها وعيوبها . . . وقد يسأل قارئ : لماذا
إذن نترجم أعمال هذا المؤلف وهو على ما وصفناه ؟
ولكأن هذا القارئ يريد أن يقتصر اطلاعنا على لون واحد
من الأدب ، وهو المشرق المتفائل !! وبرغم أن هذا اللون
الأخير هو خير ألوان الأدب وأشرفها ، إلا أن ذلك لا يجوز
أن يصرفنا عن الاطلاع على سائر تلك الألوان ، فالثقافة
لا تكتمل إلا بإلمام ناشدها بمختلف جوانبها . . . و«موم» إمام
من أئمة الأدب الإنجليزي الحديث ، بل إنه إمام الكتابة

التشاؤمية الكلية في هذا العصر ، وبذلك يكون الاطلاع على أعماله الأدبية ضرورة لا غنى للمثقفين عنها . ثم إنه أستاذ لا يبارى من ناحية أخرى سبق أن تحدثنا عنها ، وهي ناحية الصياغة القصصية وأسلوب الكتابة ، فهو خير من يجيد في هذا العصر تصميم القصة ، وخير من يصوغ المعنى في أوضح عبارة وأبلغها وأجملها ، إنه كالتاجر اللبق الذي يعرف كيف يعرض عليك بضاعته ، فهو يبرز نواحي جمالها ، ويحملك على النظر إليها من الزاوية التي تبدو منها في أحسن حالاتها إن «موم» يعرف كيف يخلب ليلك ، بل كيف يسحرك ببساطته المعجزة في التعبير عن أدق المعاني ، وفي خلق الجو الذي يجعلك تعيش مع شخص من القصة ، وتخب طبايعهم ، وتكابد معهم ما يكابدون من صعب . ولا شك أن أدباءنا في حاجة إلى تلقن دروس عنه في هذا المضمار ، ومما يدل على أهمية أعماله الأدبية أن الاتحاد السوفيتي قرر ترجمة مؤلفاته إلى الروسية برغم اختلاف وجهات النظر إن «موم» من أدرى الناس بمدخل الفن ومخارجه ، كيف لا وهو من أشد المتعصبين لمذهب الفن للفن ! . . إنه يضع الإتقان الفني فوق المضمون ، وفوق المعنى ، بل وفوق الحقيقة الواقعية . . . فلا عجب إذا بلغ إتقانه الفني الذروة العليا . ولا عجب إذا أقبل الأدباء على مؤلفاته يتعلمون منها أصول الفن ، وأسرار تجويده .

* * *

يبد أن الرأى فى الملهاة التى تقدم لها هنا يختلف عن الرأى فى أعمال «موم» التى حدثنا القارئ عنها . فقد سلمت من روح التشاؤم الكلبى الذى ساد بعض قصصه ، بل لعلها نسجت على منوال مختلف عن منوال تلك القصص . . . وقد آن أن نقول عنها كلمة تكشف عن اتجاهاتها السليمة التى دعت إلى اختيارها لنقلها إلى اللغة العربية .

يصور لنا المؤلف فى هذه الملهاة امرأة حصانا تخلص لزوجها برغم خيانتها لها ، وتستطيع ببقائها على عهده أن تستميلة إليها بعد هجره لها ، وتستعيد حبه بعد سلوانه . . . وقد اختار لبطله القصة اسماً صار منذ القدم رمزاً لوفاء الزوجة الحصان ، وهو اسم « بينيلوبى » ، بطله ملحمة الأوديسة . . بينيلوبى هذه هى زوجة أوديسيوس فارس حرب طروادة وبطلها المغوار الذى استطاع بشجاعته وقوة ساعده ، وجرأة جنانه ، وسعة حيلته فى الحرب ، وصبره على الشدائد . أن يقهر أعداءه ، ويخرج من غمار تلك الحرب الطويلة المضنية منتصراً . ركب البحر بعد انتصاره ميمتاً وجهه شطر وطنه وقد برح به الحنين إلى زوجته « بينيلوبى » ، ولكنه ضل فى فسحة البحر الزاخر ، ورمت به الأقدار إلى بلد الفاتنة « كاليبو » ، ووقع المحذور ، وهامت به هذه الغادة هيأماً ، بل جنت به جنوناً ، ولم تزل به تغريه وتصيبه حتى علق بحبال حبها ، وكاد ينسى بين أحضانها زوجته الشريفة المخلصة .

وظن ملوك اليونان ، بعد أن طالت غيبته ، أنه لقي حتفه ، أو أنه لن يثوب ، فطمع كل منهم في الزواج بينيلوبي ، وتودد إليها ، وطلب منها أن تقبله بعلا ، وألحف في طلبه . ولما ضيق أولئك الملوك عليها الحناق ، وطالت مراوغتها لهم وخشيت مغبة إعراضها عنهم ، وإهمال طلبهم ، وعدتهم أن تختار من بينهم زوجاً لها عند ما تفرغ من نسج ثوب الزفاف . وعكفت على منوالها ، ودأبت على نسج ذلك الثوب . ولكنها كانت تنقض أثناء الليل ما نسجته خلال النهار ، آملة أن يعود إليها زوجها الحبيب في غضون ذلك بعد طول الغياب . . . ولم يحب فألها ، وعاد زوجها الحبيب مستخفياً . . . ووقف على ما كان من أمر زوجته . . وعرفه ابنه تليماك . . ودبرا معاً خطة استطاعا بها أن يقضيا على أولئك الملوك الطامعين في الزواج من بينيلوبي . . والتأم شمل الزوجين . وعاد أوديسيوس أشد حباً ووفاء لزوجته من قبل . . . اختار «موم» اسم بينيلوبي الوفية لبطلة ملهاته التي تصور جانباً من حياة أسرة إنجليزية متوسطة الحال ، هي أسرة أوفاريل المكونة من زوج طيب يدعى ديكى أوفاريل ، وزوجة تدعى بينيلوبي . . . وصل إلى علم الزوجة أن زوجها يخونها فأرسلت في طلب أهلها ، وحضر إليها في الميعاد الذي حددته كل من أبيها «تشارلز جولاييتلى» ، وأمها «إيزابيل جولاييتلى» ، وخالها «دافنبورت بارلو» و «بيدزورث»

محمى الأسرة . وبعد أن انتظم عقد الحاضرين أنبأهم أن زوجها ديكى اتخذ له عشيقة تدعى « أدا فيرجسون » ، وقالت إنه أخذ منذ ذلك الحين يطيل هجره لها ، ويكذب عليها ، ويهمل شأنها وهى لا تدرك لهذه الخيانة سبباً ، فقد أحببت زوجها حباً صادقاً ، بل هامت به هياماً ، وأخلصت له كل الإخلاص ، ولذلك فقد حز غدره فى نفسها ، ولم يعد يشفى لوعتها وكرامتها الجريحة إلا أن تهجره ، على أن يكون ذلك بعد أن تشتبك معه فى شجار مشتعل الأوار ، وتفضحه أمامهم جميعاً . . . ولم تجد بين الحاضرين عاقلاً يرد لها صوابها إلا أباهما الذى حسبته الأسرة عالماً نظرياً لا يعرف من أمور الدنيا شيئاً . ولكن العالم النظرى الذى يحل المشكلات بالأرقام هو وحده القادر بأرقامه ، وتحليله المادى . على الوصول حتى فى الحياة العملية إلى النتائج الصحيحة الحاسمة .

سأل الأب ابنته عما إذا كانت لا تزال تحب زوجها ؟ فأجابت بأنها تهيم به حباً ، فقال لها إن جمع واحد وواحد يساوى اثنين ، ولا يمكن أن يساوى ثلاثة . . . والطلاق الذى تطلبه لا يحقق لها ما تنشده ، بل يأتى بعكس النتيجة المرجوة .

أليس ما تنشده أن تستعيد حب زوجها ، وتعود المياه إلى مجاريها ؟ وسألت الابنة أباهما فى لهفة : أتحسب فى الإمكان أن أسترده حبه المفقود ؟ وعند ما أجاب أبوها بالإيجاب كادت تقفز من مقعدها ، وتلألأ نور الأمل فى عينيها .

وأخذت تردد السؤال : كيف ؟ كيف ؟ ... كيف ؟ !
وأجاب أبوها في هدوء العلماء إن الأمر يحتاج إلى قدر كبير
من الحكمة ، وقدر كبير من الصبر ومن اللباقة ... وقالت
بينيلوبي وهي لا تكاد تلتقط أنفاسها : « أنا على استعداد
للقيام بكل ما تفرضه على يا أبي في سبيل الفوز بحبه من
جديد ... »

وهنا يبدو رجل العلم على حقيقته . إنه يرسم الخطة التي
تؤدي إلى النتيجة المنشودة دون أن يقيم وزناً للتقاليد والمعنويات
والعواطف البشرية ... قال جولايثي لابنته « يجب أن
تكتمي عواطفك الحقيقية عن زوجك ، وتظهرى له غير
ما تبطنين . لا تجلسى على ذراع مقعده وهو يدخن غليونيه
ويقرأ صحف الصباح . لا تلحى فى سؤاله عما إذا كان
يحبك ، وتكررى ذلك فى الصباح والمساء . وإذا خرج من
الدار لا تسأليه : إلى أين ؟ وإذا عاد فلا تسأليه من أين ؟
ثم عليك بالإقدام على ما هو أشق مما سبق . عليك ألا تظهرى
له قط أنك تشكين فى أمر علاقاته بأدا فيرجسون ، وعليك
فوق ذلك أن تتيحى له فرص الالتقاء بها حتى يشبع منها .
ويزهد فيها ، ويفقد حبه لها متعة الشيء المحرم الخافى العزيز
المنال ... أما أنت فلا تعطيه إلا القدر القليل من حبك ،
ولا تمكنيه منك إلا بمقدار ، وتشعريه دائماً أن بك من المحاسن
الخافية ما لم يكتشفها بعد ، وأنتك حصن لا ينال إلا بالاحتحام ... »

وقالت بينيلوبي ذاهلة : « ولكنك تطلب إلى أن أصبح
غولا مخيفة ! ! » وصاحت أمها السيدة جولايثي : « ما
هذه النصائح غير الأخلاقية ! » ولكن الرجل أصر على أن
ما رسمه هو الطريق الوحيد لإسعاد ابنته . ولم تجد الابنة بداً
من اتباع ما أشار به أبوها . صارت توهم زوجها ألا شيء
يسعدها مثل أن تراه يرتشف من متع الحياة ليروح عن نفسه
ويخفف من متاعب العمل . وطفقت تغريه بالخروج للفسحة ،
وقلبها يتمزق أسى لعلمها بأنه سيقابل عشيقته . وكان كلما هم
بالخروج هشت له ، وودعته بابتسامة حاوة ، فإذا غاب عن
بصرها أغرقت في بكاء عصبي مرير وطال انتظارها
للنتيجة المرجوة ، وكاد اليأس يدب إلى قلبها ، ولكن أدا
فيرجسون كانت في هذه الأثناء تتورط في نفس الأخطاء التي
كانت بينيلوبي ترتكبها من قبل . . . فهي تثقل على ديكى
بفرط حنانها ، وترهقه بحبها إرهاقاً . . . فإذا أراد الانصراف
من بيتها طلبت بقاءه مدة أخرى ، وألحت في ذلك . وإذا
أصر على الانصراف سألته إلى أين ؟ ، وأبت أن تخلى له
الطريق حتى يحدد لها الموعد الجديد . . . هذا إلى استحلاب
ماله بشئ الخيل المنفرة . . . وشعرت بينيلوبي في النهاية
بنسائم الفرج تهب . ثم أيقنت أن حب زوجها لغريمها بدأ
يفتر ، واستوثقت أخيراً أنه بدأ يمتك تلك الغريمة ، ويلتمس
وسائل الخلاص منها .

ولم تستطع بينيلوبي ذات مرة أن تكتم ضحكها بينما كان زوجها يحاول تضليلها كعادته ، وانطلقت ضحكاتها في وجه زوجها رنانة مجلجلة وذهل الزوج ، وسألها عما يضحكها . فأجابت بعد أن عجزت عن مواصلة تظاهرها بالغفلة .

« إني أعلم كل شيء يا حبيبي » .

« عم تتحدثين ؟ »

« عن علاقتك بأدا فيرجسون »

وجفل الزوج ، ولكنه تمالك جأشه وقال في تعال :

« إن ما تقولينه وهم وضلال » .

وراحت بينيلوبي تشير إلى وقائع تقطع بأنها على علم بكل ما حدث بينه وبين أدا فيرجسون . وأسقط في يد الزوج وسأل :

« ألسنت غاضبة ؟ »

« لا يا عزيزي ، فإنك قد رفهت عن نفسك قليلا .

وليس من داع إلى تضخيم هفوتك »

وثارَت ثائرة الزوج لأن زوجته لم تغضب ، ولم تغر ، ولم تشتبك معه في شجار عنيف ، وتطلب الطلاق . . اعترف بأنه أخطأ ولكن بين جنبيه ضميراً كان لا يكف عن تأنيبه طوال مدة خيانه . أما زوجته التي لا ترى في خيانه لها إثماً كبيراً ، فهي التي لا خلق لها ولا ضمير أو هي

على الأقل لا تحبه .

وراحت بينيلوبي لأبيها تروى له ما حدث بينها وبين زوجها وتستطلع رأيه في الخطوة التالية التي تخطوها . فأشار عليها أن تثبت على الخطوة التي اختطها فتظل تتظاهر بعدم المبالاة . فإذا أبدى زوجها ندمه الصادق على ما ارتكب ضببت أعصابها ، وكنمت عواطفها ، وأمسكت عن الارتقاء بين أحضانها غافرة ما سلف ، ومغتبطة بعودة المياه إلى مجاريها

ونفذت نصيحة أبيها وهي تتلف على الارتقاء في أحضان زوجها ، والاستمتاع بوصله . وازداد حب زوجها لها بمقدار صدها ودلالها . وأشرقت الحياة الزوجية من جديد بعد أن اكفهرت وكادت الأنواء تعصف بها .

* * *

هذه الملهاة تختلف في مضمونها عن سائر مؤلفات «موم» وإن كانت لا تختلف عنها من حيث جمال الأسلوب الروائي والإتيقان الفني فظروف الحياة فيها هي التي تفرض على الناس السلوك الذي لا محيص لهم عن اتباعه . وهي تتطلب أن يصطنع الناس المظاهر المخالفة لطبيعتهم حتى يستطيعوا تحقيق ما يصبون إليه من متعة وسعادة . فها هي ذى بينيلوبي تذوب رقة وتضطر مع ذلك إلى اصطناع عدم المبالاة إلى حد القسوة . وهي تتدله هياماً بزوجها وتضطر كذلك إلى

اصطناع الجمود والسلوان . ثم هي زوجة حصان حميدة
الحصال برغم مظهرها المناقض لخبرها . وكذلك هي على
خلاف بطلاته في قصصه الأخرى ، أولئك اللواتي يظهرن
الإخلاص وهن الحائثات ، ويتباهين بالشرف والفضيلة
وهن الآثمات .

ولا نكران أن الملهاة لا تخلو من تصوير الزوجة
الحوثون ، فها هي ذى أدا فيرجسون ، عشيقة ديكى ، تخون
زوجها ، وهى لا تفتأ تذكر لشريكها فى الإثم أنها غدرت
بزوجها من أجله . . . « فى حين يخدم ذلك الزوج وطنه فى
بلاد نائية تقع وراء البحار ! ! » . . ويتخذ «موم» من هذه
العبارة الأخيرة موضوعاً للتندر والمفاكهة ، ولكنه لا يجعل
الحياة ديدن المرأة كعادته فى قصصه ، فإن ضمير أدا
فيرجسون يستيقظ فى آخر الملهاة ، ولا تحاول أن تستجد
عشيقاً بعد هجر ديكى لها وعودته إلى زوجته ، وإنما ترحل
إلى ما وراء البحار لتلحق بزوجها . . .

وأم بينيلوبى كذلك سيدة طيبة شريفة لم تقض حياتها
مخلصة لزوجها فحسب ، ولكنها قضتها كذلك فى محاولة
هداية الضالين . . .

لقد خلت هذه الملهاة من النزعة التشاؤمية لأن «موم» اهتم
فيها بتصوير الواقع كما هو قبل أن يهتم بإبداء وجهة نظره
وإقناع القارئ بها . . . وبذلك جاءت طبيعية صادقة لا

يختلف أشخاصها قيد أنملة عن الأشخاص الحقيقيين الذين نراهم على مسرح الحياة .

لقد اتبع «موم» في تصوير أشخاص هذه الملهاة ووقائعها الاتجاه الواقعي البحت ، فعكس الواقع كما هو دون أن يفرض على النظارة آراءه الخاصة ، ودون أن يتعد بفكره وخياله عن الحقائق الموضوعية ، أو يشتط فيفسد بحماسة بساطة الملهاة الطبيعية .

من الواضح أنه كتب هذه الملهاة بأعصاب هادئة ، وفكر مسلط بكليته على الواقع دون ما تأثر بأفكار مسبقة . وهذا هو ما جعلها تتسلسل كالجدول الصافي ، وتكتسى جوانبها بالزهر الحلاب ، ويظل متبعتها يتنقل من واقعة إلى أخرى في هواة ويسر حتى يصل إلى خاتمتها السعيدة المبهجة . وبرغم أن «موم» لم يتوسع في موضوع الملهاة ، بل حصره في دائرة ملموسة محبوبة ، فقد استطاع أن ينفي عن النظارة السأم ، بل استطاع أن يشوقهم ويجدد نشاطهم الذهني بحركة الملهاة الدائبة ، وبما ظل يبتدعه من مفاجآت لا تبهر فحسب ، ولكنها تخدم موضوع الملهاة ، وتزيد بناءها الفني جمالا وإتقاناً .

والملهاة لا تخلو من موعظة غالية ، ولكنها ليست موعظة يحشرها المؤلف في عمله الفني ، بل موعظة الحياة نفسها . . . والنظارة لا يتلقونها من المؤلف كما يتلقن التلميذ الدرس .

ولكنهم يستخلصونها من الوقائع ، ولا يمكن أن يخطئوها . .
وهي تخدم الحياة لأنها تُبرز زيف الحب الحرام في
صدق وواقعية ، وتلفت النظارة إلى متعة الحب الحلال
الصديق . . . فهي ملهاة اجتماعية تساعد على استقرار الحياة
الزوجية . . . لقد جمعت بين جمال الشكل والمضمون ،
ولعل اختيارها لنقلها إلى اللغة العربية يرجع على الأخص إلى
هذا السبب .

محمد مفيد الشوباشي

أشخاص المسرحية

بينيلوبي

دكتور أوفاريل

الأستاذ جولايثلي

السيدة جولايثلي

مستر دافنبورت بارلو

مستر فيرجسون

مستر بيدزوورث

السيدة واطسون

أحد المرضى

بيتون

زمن أحداث المسرحية ١٩٠٨

الفصل الأول

المنظر

غرفة استقبال بمنزل أسرة « أوفاريل » الكائن بشارع جون وهي مجهزة برياش بديعة ؛ ولكن في غير إسراف . وأسرة أوفاريل مكونة من زوجين شابين دخلهما متواضع . . . والساعة بين السادسة والسابعة مساء .

تفتح بيتون الباب ؛ وهي خادم للاستقبال نظيفة الهندام ، وتقود مستر دافنبورت بارلو إلى الغرفة .

وبارلو رجل قصير القامة ، معتد بنفسه ، في متوسط العمر ، شديد الصلح ، أحمر الوجه ، ذو شارب صغير مفتول بعناية، وهندام على أحدث طراز، في أسلوبه زهو واحتفال شديد بالتواضع . يتقدم إلى الغرفة وكأنه يتوقع أن يرى بها أحداً . وعند ما يجد الغرفة خالية يتوقف ، وينظر إلى بيتون ولا يستطيع أن يفهم السبب في عدم وجود أحد لاستقباله .

بارلو : [بلهجة اندهاش] أليست السيدة أوفاريل
موجودة ؟! ..

بيتون : لا يا سيدى .

بارلو : هيم .. م .. أيمكن أن تخبرها بحضورى ؟

بيتون : السيدة أوفاريل ليست بالمنزل يا سيدى .

بارلو : ليست بالمنزل ؟ ... ولكن ...

بيتون : السيدة أوفاريل ترجوك أن تجلس
وتستريح . وكلفتنى أن أناولك صحيفة
المورننج پوست .

بارلو : [متشاعاً] لا أستطيع أن أتصور ما يدعو
السيدة أوفاريل إلى الظن بأنى لم أقرأ
صحيفة المورننج پوست الصباحية حتى
السادسة مساء .

بيتون : [هادئة] وتسألك السيدة أوفاريل أترغب
فى كأس من الويسكى والصدودا يا سيدى ؟

بارلو : ولكن متى تحضر السيدة أوفاريل ؟

بيتون : لا أعرف إطلاقاً يا سيدى .

بارلو : ولكنها أبرقت إلى بعد ظهر اليوم طالبة
حضورى على الفور لمقابلتها .

بيتون : هذا صحيح يا سيدى. وأنا ذهبت بالبرقية إلى مكتب البريد بنفسى .

بارلو : إن خروجها فى هذه الحالة يبدو غريباً جداً . فالمسألة لها أهمية كبيرة .

بيتون : [فى أدب] نعم ياسيدى .

بارلو : حسناً ... سأجلس وأنتظر ، ولكنى لا أستطيع أن أطيل بقائى ، فأنا سأتناول طعام العشاء عند ... لأهمية لذلك

بيتون : حسناً ياسيدى . .

[تخرج بيتون . ويتوجه بارلو إلى مرآة بالفرقة . ويخرج من جيبه فرشاة صغيرة يمسح بها شاربه ... تعود بيتون وهى تحمل صينية صغيرة وزجاجة خمر وممصاً « سيفوناً » وكوباً]

بارلو : أوه ، شكراً . أقلتِ إن لديك صحيفة المورننج پوست ؟

بيتون : نعم ياسيدى . [تناوله الصحيفة]

بارلو : آه شكراً .

[تخرج بيتون ثانية . ويتناول بارلو كأساً من الوسكى والصودا . ويفتح صفحة « أنباء المجتمع » . ويأخذ فى قراءتها وعلى ثغره ابتسامة رضا عن النفس]

بارلو : [وكأنه يخاطب نفسه] عادت الدوقة سالت

إيرث إلى ويلز أمس . ووصلت الماركييزة

ميرستون إلى المنزل رقم ٨٩ بميدان
جروسفينور، وتسافر الماركةيزة سيرلو والليدى
إلينور كنج إلى باريس هذا الصباح .

[تدخل بيتون . . . وتتبعها السيدة جولايلى . وهى
متوسطة العمر ، بدينة إلى حد كبير ، دمثة الخلق ،
دائبة الحركة ولكنها متلاحقة الأنفاس . ويظل الناظر
إليها يحس كأنها ركضت إلى أعلا تل شديد الانحدار .
وهى أخت دافينبورت بارلو] .

بيتون : السيدة جولايلى .

بارلو : إيزابيل ! . .

السيدة جولايلى : أنت هنا يا دفينبورت ؟ أين بينلوبي ؟

بارلو : [وكأن ذلك أغرب شيء فى العالم] خرجت من
المسزل .

السيدة جولايلى : [مندهشة] خرجت ؟

[تلتفت إلى بيتون ، وتوجه إليها نظرة متسائلة]
بيتون : ترجو السيدة أوفاريل أن تتفضلى ياسيدتى
فتجلسى وتستريحى . وقد كلفتنى أن أقدم
إليك صحيفة « تشرش تايمز »

بارلو : ولكن . . .

بيتون : [هادئة] وتسألك السيدة أوفاريل . أتريدى
قدحاً من الشاى الثقيل ؟ . .

السيدة جولايلى : يدهشنى أن تخرج السيدة أوفاريل ، فقد كانت تتوقع مجيئى .

پيتون : [تعطى صحيفة للسيدة جولايلى] نعم يا سيدتى .

السيدة جولايلى : [تأخذ الصحيفة] ما هذا ؟ ..

پيتون : صحيفة « تشرتش تايمز » يا سيدتى .

السيدة جولايلى : [تنظر إلى بارلو نظرة تم عن الغيظ] آه ،

أشكرك ... أظنى أريد قدحاً من الشاي ...

أرجوك ...

پيتون : حسناً يا سيدتى .

السيدة جولايلى : عجباً لپينيلوپى ! لماذا تصر على أن أقرأ

صحيفة « تشرتش تايمز » ؟

بارلو : لقد تسلمت الساعة برقية منها .

السيدة جولايلى : كذلك تسلمت أنا منها برقية تطلب فيها

حضورى على الفور [يلتصق فى ذهنها شعاع

من نور] لعلنا نجد تفسيراً لذلك فى صحيفة

« تشرتش تايمز » .

بارلو : هراء ... وما شأن صحيفة « تشرتش

تايمز » بالأرشيذوقة أنا ستازيا ؟

السيدة جولايلى : عم تتحدث يا عزيزى دافينپورت ؟ ..

[تدخل پيتون لتعلن قدوم الأستاذ جولايلى ،

وتخرج بعد ذلك مباشرة . وجولايلى رجل طويل

نحيل ، أشيب الشعر ، نشط ، معتنى به ، أنيق منسق

الهندام ، تخاله محامياً أو طبيباً كما تخاله أستاذاً
للرياضيات . ووجهه نظيف الخلاقة] .

: الأستاذ جولاييتلى .

بيتون

: أهلاً يا دافينپورت [يخاطب زوجته]

جولاييتلى

يا عزيزتى ! أنت آخر من كنت أتوقع
وجوده هنا . كنت أظن أن هناك اجتماعاً

لجمعية المبشرين فى « ألبرت هول »

[تدخل بيتون وهى تحمل صينية محملة بآنية

الشاي ، وكوباً من ماء الشعير ، ونسخة من صحيفة
أثينايوم] .

السيدة جولاييتلى : آه ، أشكرك .

: [لجولاييتلى] تسألك السيدة أوفاريل : هل

بيتون

لك فى تناول كوب من ماء الشعير ؟

: ماء شعير ! . .

جولاييتلى

: وكلفتنى أن أقدم لك مجلة أثينايوم ،

بيتون

ولكنها لم تجد عدد هذا الأسبوع يا سيدى .

وهذا هو عدد الأسبوع الماضى ، والسيدة

أوفاريل ترجو أن يؤدى الغرض

المطلوب .

: [وعلى ثغره ابتسامة خفيفة] إنه تطف منك

جولاييتلى

أن تجشمى نفسك هذا العناء .

: أشكرك يا سيدى . [تخرج]

بيتون

جولاييتلى : لست أدري لى شىء فى الدنيا تريدنى
بينيلوپى أن أصنع بعدد الأسبوع الماضى
من مجلة أثينايوم ، وبكوب ماء من
الشعير ؟

بارلو : أظنها تريد منك أن تشرب الكوب وتقرأ
الصحيفة .

جولاييتلى : [لزوجته] يا عزيزتى ، من المؤلم أن
تنشئى ابنتنا الوحيدة على الاعتقاد بأن
شرايى المفضل هو ماء الشعير .

بارلو : يبدو أن بينيلوپى كانت تتوقع حضورك
أنت أيضاً .

جولاييتلى : إنى تسلمت الساعة برقية منها .

بارلو : حقاً ؟ .. لست أدري أى شىء فى الدنيا
يدعوها إلى الإبراق لك !

السيدة جولاييتلى : إن من أغرب الأمور ألا تكون بينيلوپى
هنا . فهذا يشعرنى بالقلق الشديد .

جولاييتلى : بصراحة أنا لم أفهم من الأمر شيئاً . ومن
ثم قفزت إلى سيارة وجئت من النادى
فوراً .

[تدخل بيتون ومن ورائها بيدزورث . وهو
محام متوسط العمر دمث الخلق] .

- بيتون : مستر بيدزوورث .
- جولايتلى : على اللعنة .
- بارلو : يا عزيزى تشارلز ! وددت لو أنك
لا تستعمل العبارات السوقية ، فقد بطل
استعمالها فى طبقتنا .
- بيدزوورث : [يصافح السيدة جولايتلى] إني تسلمت الساعة
برقية من بينيلوپى تسألنى فيها الحضور
فوراً . [يلتفت إلى بيتون] أرجو أن تنبئ
السيدة أوفاريل بقدمى .
- جولايتلى : إنها غير موجودة بالمنزل .
- بيتون : السيدة أوفاريل ترجوك أن تستريح
يا سيدى . وإذا أردت قراءة صحيفة
« لو تايمز » فلدينا نسخة منها . . . وهل
ترغب فى كأس من الپورت يا سيدى ؟ .
- [يدور بيدزوورث ببصره فى الحاضرين حائراً]
- جولايتلى : أطلب من فضلك كأساً من الپورت
أبادل بها كوب شراب الشعير .
- بيدزوورث : [إلى بيتون] أشكرك .
- بيتون : [تناوله الصحيفة] حسناً ، ياسيدى . [تخرج]

بيدزوورث : ماذا عساها تريد منى أن أصنع بصحيفة
« لو تائمز » ؟

جولايتلى : لقد سألت نفس السؤال عندما ناولتني
بيتون عدد الأسبوع الماضى من صحيفة
أئينايوم ، وأجابنى دافينپوت بفطنته
التي يتميز بها : اقرأه .

بيدزوورث : أتستطيع أن تنبئنى بما تريده بينيلوپي ؟
ففى برقيتها إشارة إلى أنها تريد مقابلتى
بصفتى الرسمية — بصفتى محامى الأسرة
لا بصفتى صديقاً قديماً .

جولايتلى : ليست لدى أية فكرة . وقد خيل إلى أن
برقيتها غامضة كل الغموض .

السيدة جولاييتلى : بودى أن تحضر . فقد بدأ القلق الشديد
يساورنى .

بارلو : [بشئ من الزهو] أظن أنى أستطيع أن

أريح نفوسكم ، فإننى فى وضع يمكننى
من إيضاح الأمر كله لكم ،
فالبرقية التي أرسلتها إلى تزيل كل
لبس . . . لعلكم تعرفون أن الأرشيذوقة
أناستازيا تعالج عند ديكى . ومن التوفيق
أن تكون له عميلة حسنة جداً مثلها . وأنا لم

أقابلها في حياتي وإن كنت أعرف، مصادفة،
عددا من أفراد أسرتها . وهي امرأة لطيفة
واسعة الثقافة . وكنت على الدوام أقول
لديكي إن هذا نوع العملاء الذين يجدر به
أن يعالجهم ، فإن مرضى الطبقة المتوسطة
لا يفيدون الطبيب فتيلا .

جولايثي : يا عزيزي دافينپوث ، أرجو أن تواصل
حكايته .

بارلو : حسناً ، يبدو أن الأشيدوقة أناستازيا
أبدت رغبتها في التعرف إلى بينيلوبي .
وهذا من جانبها صنع لطيف جميل
للغاية ، وهو ما ينتظر صدوره منها ، وهي
بالطبع تقدر كل التقدير ما أداه لها ديكي
من خدمات ، فقد كان علاجه لها معجزة
من المعجزات . ولعلها سمعت أن بينيلوبي
لبنة أنخي . بوهناك قول مأثور يمكن أن
تبعوه دائماً وهو « لا شيء يخفى على
الأمراء » . ومجمل القول إن الأرشيذوقة
ستحضر للغداء هنا . وبينيلوبي لا تعرف
شيئاً عن هذه الأمور بالطبع ، لذلك
أرسلت في طلبها وهي في حالة انفعال

شديد . وكان هذا خير ما يمكن أن
تصنعه ، فأنا أستطيع أن أدلها على كل
شيء ، إذ أنني عشت طوال عمري بين
هذه الطبقة . وليس في ذلك شيء يدعو
إلى التفاخر الشديد — فالمسألة مصادفة
في المولد ، فقد ولدت « جتلمانا » ...
من أسرة ذات شأن ... حسناً ... هذا
هو الأمر .

جولايتلى

: ولكن أتقصد أن بينيلوبي ذكرت لك
هذا كله في يرقيتها ؟ لا بد أن ذلك كلفها
مبلغاً كبيراً .

بارلو

: إنها وضعت بالطبع في صيغة مختصرة ،
ولكن هذا فحواه .

بيدزورث

: لست أتصور داعياً يدعوها إلى طلي
لمجرد أن إحدى أعضاء الأسرة المالكة
ستحضر لتتناول الغداء معها . لقد شق
على أن أغادر مكتبي وعشرات من الناس
ينتظرون مقابلي . واضطرت أن أتسلل
من الباب الخلفى لأتخاشى الالتقاء بهم .

جولايتلى

: ولكن ما هو نص البرقية التي أرسلتها
بينيلوبي إليك يا دافينپورت ؟

بارلو : تستطيع الاطّلاع عليها إن أردت .

[يخرجها من جيبه ويقرأ] « تعال فوراً .

الأرشيذوقة أناستازيا . بينيلوبي » .

جولايتلى : أتقصد أن تقول إنك نسجت كل تلك

الحكاية من هذه الكلمات الثلاث ؟ ...

بارلو : بينيلوبي لم تجهل أنى على قدر من الفطنة ،

وهي لم تشأ أن تبعثر نقودها ، فضمنت

برقيتها الألفاظ الضرورية ، وتركتلى

استنتاج الباقي .

السيدة جولائيتلى : ولكن برقيتى لم تشر إلى الأرشيذوقة

أنا ستازيا .

بارلو : وماذا قالت بينيلوبي فى برقيتها إليك ؟

السيدة جولائيتلى : [تخرج البرقة] « تعالى حالا ! فضيحة

خطيرة ! بعثة وسط إفريقيا التبشيرية .

بينيلوبي » .

بارلو : ولكن هذا هراء . إنك تعلمين مبلغ غباء

مكتب البريد . فلا بد أن يكونوا قد

قد ارتكبوا خطأ ، إنى أعلم أن لأعضاء

الأسرة المالكة اليومرانية أطواراً غريبة ،

ولكن هناك حدوداً لا يتخطونها ، ويستحيل

على أن أتصور أن الأرشيذوقة أنا ستازيا

تورطت في فضيحة مع أحد مسلي
الإرسالية الدينية لوسط إفريقيا .

بيد زوورث : ولكن برقيتي لم تتضمن إلا ما يأتي : « تعال
فوراً ، ستة شلنات وثمانية بنسات .
بينيلوبي » .

بارلو : ستة شلنات ، وثمانية بنسات ! . لماذا
ستة شلنات ، وثمانية بنسات ؟

بيد زوورث : لا أدري . ولهذا لم أضع وقتاً في المحي .
جولايتلي : [وعينه تومض] تخيل إلى أن الأرشيديوقة
أناستازيا هربت مع أحد المبشرين
بدلاً من أن تدفع لديكي أجر علاجه
المعجز ، ولذلك تريد بينيلوبي ، مستعينة
بالقانون ، [ويؤي إلى بيد زوورث] أن
تحصل على النقود .

بارلو : هراء ! ... كم أنت غير عملي ياتشارلز !
السيدة جولايتلي : [لزوجها] ولكنك تلقيت برقية أنت أيضاً
يا عزيزي .

جولايتلي : « تعال حالا . كسر عشري ٧٠٣٥ بينيلوبي »
بارلو : ما أغرب هذا ! ...

[يفتح الباب بهدوء ، وتدخل بينيلوبي إلى
الغرفة . وتنفض هنيهة قبل أن يلحظ الآخرون

وجودها وتقف ناظرة إليهم وهي تبسم .
ثم يقع نظر جولايلى عليها ، ويلتفت إليها سائر
الموجودين [.

جولايلى : بينيلوپى .

سائر الموجودين : بينيلوپى .

بينيلوپى : [تتقدم وتقبل الحيدة جولايلى] مساء الخير
يا أمى !

بارلو : [بلهفة] خيرا ؟

بينيلوپى : خيرا يا أبى . [تمد له وجهها ليقبلها]

السيدة جولايلى : [قلقة] والآن يا بينيلوپى .

بينيلوپى : أوه ، مستر بيدزوورث ، إنه فضل

منك أن تحضر ! [تصافحه] قبلنى يا خالى

دافينپورت [ترفع له وجهها فى هدوء ،
فيقبلها بشئ من الغيظ] .

بينيلوپى : أشكرك أكانت كأس الويسكى

والصودا التى قدمت إليك جيدة ؟

[ثم تدور بنظرها] والپورت ؟ . إنك لم

تلمس شراب الشعير يا أبى . يا لك من

كهل منكرا للجميل .

السيدة جولايلى : [منيظة] يا عزيزتى ! . . بربك اشرحى
لنا الأمر .

بارلو : أين كنت طوال هذا الوقت ؟ .

پینیلوپي

: كنت - كنت في غرفة الاستشارة .
[وتبتسم ابتسامة خبيثة] كنت أرقبكم جميعاً
وأنتم تدخلون .

السيدة جولايثلي : [في شيء من الاستياء] قالت لنا بيتون إنك
غير موجودة بالمنزل .

بارلو

: أظن يا پينيلوپي أن سلوكك كان في الحق
مشيناً .

پينيلوپي

: اسمعوا . رأيت أنني إذا قابلت كلا منكم
بدوره سأضطر أن أكرر الضجة التي
سأثيرها أربع مرات بدلاً من مرة واحدة .
ولو فعلت لأنك ذلك قواي ، دون أن
يجدى كما تجدى مقابلي لكم مجتمعين .

جولايثلي

: أتتوّن أن تثيري ضجة ؟ ..

پينيلوپي

: [في غاية الرضى] سأثير ضجة مروعة بعد
دقيقة .

السيدة جولايثلي : بحقك اخبرينا يا عزيزتي عما تقصدين
برقياتك قبل أن تزيد كلمة .

پينيلوپي

: اسمعي . كنت أريد أن تحضروا جميعكم
على الفور ، فرأيت خير وسيلة لتحقيق
ذلك أن أغريكم برغباتكم المسيطرة عليكم
فأضعها تحت أنوفكم .

السيدة جولايلى : أفهمتَ يا تشارلز ما تقصده ؟ . .
بينيلوپى : المسألة فى غاية البساطة يا أمى العزيزة .

إنك تنفقين حياتك فى محاولة هداية الوثنيين
— عن بعد — ولم يغب عنى أنك ستحضرين
طائرة على جناح الريح إذا ذكرت لك
الإرسالية التبشيرية لوسط إفريقيا .

السيدة جولايلى : الواقع أنى جئت راكبة الأومنيبوس . ولكن
أتعنين أنه ليست هناك فضيحة متعلقة
بالإرسالية التبشيرية لوسط إفريقيا ؟
بينيلوپى : [مبتسمة] يؤسفنى أشد الأسف أن أخيب
أملك يا أمى .

جولايلى : وماذا دعاك بحق السماء إلى كتابة « عشرى
٧٠٣٥ » فى البرقية التى أرسلتها إلى ؟

بينيلوپى : أوه ! إنه رقم تليفوننا . وكل ما فعلته أننى

كتبت كلمة « عشرى » بدلا من « جيرارد »

جولايلى : لقد خطر لى أن الرقم مألوف لدى جداً .

بينيلوپى : هذه هى المسألة كما ترى

بارلو : [يضحك] أحسب أن الفكرة عظيمة .

وقد قذفتك يا بيدزورث بعبارة « ستة
شلنات ، وثمانية بنسات » وهى موقنة
بأنها ستجلب المحامى .

پینیلوپي : [ليدزورث] . أنت غير غاضب على .
أليس كذلك ؟ [يهز رأسه مبتسماً]

بارلو : والآن يا عزيزتي بعد أن انتهيت منهم ،
خبريني عن كل ما يتعلق بالأرشيذوقة
أناستازيا .

پینیلوپي : [بنظرة ساهرة] الأرشيذوقة أناستازيا ؟
ولكني ابتدعتها .

بارلو : ماذا تعنين بقولك إنك ابتدعتها ؟ أنا
أعرفها جيداً ، ومعرفتي بها ترجع إلى سنوات
مضت . إني أعرف أفراد أسرته جميعها .

پینیلوپي : [مرتبكة بعض الشيء ، ولكنها تحاول كتمان ضحكها]
المسألة أنني — أنني أردت حضورك أنت
أيضاً ، و . . .

بارلو : أنا لا أفهم ما تعنيه إطلاقاً يا پینیلوپي ! ..
تذكرين لي واحدة من أقرب صديقاتي ،
ثم تقولين لي إنك ابتدعتها .

پینیلوپي : أنا آسفة أشد الأسف ... وفي الحق أنني
لم أعلم بوجود مثل هذه السيدة .
وقد ظننتني ابتدعتها من فكري ...
[وبضحكة مكتومة] أظن أنها كانت فكرة

بارعة أن أتق على شخص تعرفه مثل
هذه المعرفة الوثيقة .

بارلو : لست أدري لماذا تظنين أن مجرد ذكر

اسم الأرشيذوقة يحملني على الحضور .

بينيلوبي : حسناً . المسألة أنني أعلم عنك الولوج بحضور

الحفلات ، ومعرفتك العدد الكثير من
الناس . ولذلك تيقنت أنه إذا تصادف

وكانت هناك سيدة باسم الأرشيذوقة

أنا ستاريا ، فأنت لابد تعرفها [ثم بإشارة

من يدها] والآن هذه هي المسألة كما ترى .

[بارلو يتقد غيظاً ، ولكنه لا يجيب]

السيدة جولاييتلي : والآن يا بينيلوبي عليك أن تخبرينا عن
حقيقة ماتريدين .

بينيلوبي : [بلهجة من يقرر الواقع] أريد الطلاق من ديكى .

السيدة جولاييتلي : ماذا ! ..

جولاييتلي : يا بنيتى العزيزة .

بارلو : يا لطيف !

[يقولون هذه العبارات الثلاث في وقت واحد]

بينيلوبي : [بحسرة] كنت أريد أن أحدث ضججة

كبيرة ، ولكنكم حملتموني على التعجل

بإفشاء سرى كله في أربع كلمات .

السيدة جولاييتلي : ولكنى لأنهم .

بينيلوبي : سأكرر القول ... أأكرره ؟ .. أريد

الطلاق من ديكى .

بيد زوورث : أنت لا تعنين ذلك حقاً ، أليس كذلك ؟

بينيلوبي : [حانقة] بل أعنيه بالطبع . إني لن أكلم

ديكى طوال عمرى .. أقصد أنني سأتشاجر

معه شجاراً عنيفاً أولاً . إني مصممة كل

التصميم على الشجار .. مع شخص ما .

جولايتلى : وأين ديكى الآن ؟ ...

بينيلوبي : فى طريقه إلى المنزل وجميعته نفس الحجة

[يتهدج صوتها فجأة] آه لو تعلمون كم أنا

شقية ! ...

السيدة جولاييتلى : يا عزيزتى ، هل الأمر خطر حقاً ؟

بينيلوبي : [فى قنوط] ماذا أستطيع أن أفعل لأفهمكم

الأمر ؟

جولايتلى : خير ماتفعلين أن تبدئي من البداية ،

وتخبرينا عما وقع كله بترتيب وترابط .

بارلو : [مزهواً بنفسه] يا عزيزى تشارلز ، هذه

المسألة ليست من نوع المسائل التى يكون

لرأيك فيها أدنى فائدة . فأنت عالم فى

الرياضيات ، ولا ينتظر من مثلك الإلمام

بشيء من الأمور العملية .

جولائتلى : [بسخرية خفيفة] أعتذر بشدة :

السيدة جولائتلى : [متجهة إلى بينيلوي تسألها أن تفصح] تكلمى
يا حبيبتي !

بينيلوي : حسناً . أنا أولاً هائمة بحب ديكى ، فإنى
لم أحب غيره فيما مضى ، ولن أحب
غيره فى المستقبل .

بيدزوورث : هذا اعتراف مرضى جداً بعد زواج دام
أربع سنوات .

بينيلوي : خمس سنوات وثلاثة أشهر ويومين . ولم
يمر يوم من هذه المدة دون أن يزداد
حبى لديكى .

بيدزوورث : لم أر زوجين مخلص كل منهما للآخر
أكثر من هذا الإخلاص .

بينيلوي : نحن لم نتشاحن قط . بل ولم يغضب أحدهما
على الآخر فى يوم من الأيام . كانت حياتنا
الزوجية شهر عسل لا ينقضى .

السيدة جولائتلى : وماذا بعد ؟

بينيلوي : ولكنى اكتشفت أنه كان يكذب على
خلال الشهر الأخير . كان لا يعود كل
ليلة إلا فى ساعة متأخرة جداً . فإذا سأله
أين كان ، أجابنى بأنه اضطر إلى عبادة

مريض ألح عليه الداء — وأنها حالة هامة
جدا — وأن ذلك أقلقته إلى حد أنه
اضطر إلى الذهاب لناديه ولعب دوراً من
« البريدج » ليستعيد هدوء أعصابه . . .
وليست حالة المريض الهامة ، ودور
« البريدج » إلا « أدا فيرجسون »

بارلو : [مزموأ] ولكن ، من هي أدا فيرجسون ؟
أنا لم أسمع عنها قط .

بينيلوبي : أدا فيرجسون من أقرب صديقاتي إلى .
وأنا أمقتها . . . كنت أعرف دائماً أنها

قطعة . وقد اعتاد ديكى خلال الأسابيع
الأربعة الأخيرة أن يقضى معها بعد ظهر
كل يوم من الساعة الرابعة إلى السابعة .

جولايتلى : [يرفع حاجبيه] ولكن ، أمن عادتلك دائماً
أن تسألى زوجك عند ما يعود إلى الدار
أين كان ؟

بينيلوبي : [نافذة الصبر] يا أبى العزيز ، ما العلاقة

بين سؤالك وما نحن فيه ؟ إننا نقر جميعاً
بأنك إنسان لطيف ، وأنتك أعظم أفذاذ
العالم فى الرياضيات ، ولكنك لا تعلم عن
الحياة شيئاً .

جولاييتلى : أعتذر مرة أخرى :
السيدة جولاييتلى : أعطيه ورقة وقلماً يا بينيلوپى ليلهى نفسه
ببعض المسائل الحسابية بينما نناقش نحن المسألة.
بينيلوپى : [تدفع إلى أبيها أدوات كتابية] ها هى ذى
يا أبى .
بيدزورث : ولكن كيف وقفت على هذا الأمر ؟
بينيلوپى : [متضجرة] أية أهمية لكيفية وقوفى عليه .
إن كل البراهين متوفرة لدى .
السيدة جولاييتلى : حسبى أن أسمع أقلها ، فإنك تستطيعين
أن تصرعيني بريشة .
جولاييتلى : [مبتسماً] يا عزيزتى !
بارلو : إن الأمر لا يدهشنى بحال .
بينيلوپى : يا خالى دافينپورث !
بارلو : لقد توقعت ذلك دائماً . فأنت تذكرين
يا إيزابيل أنى عارضت فى ذلك الزواج
منذ البداية . وقد قلت إنه من الخير
للمرأة ألا تزوج بطبيب ، فالواحد منا
يقابل الأطباء أحياناً فى المجتمع بعدما
تصقلهم الأيام قليلاً ، أوريما بعد فوزهم
بالألقاب والرتب العالية ، ولكننا لا نقابل
زوجاتهم أبداً . ونحن نفترض أنهم

يتزوجون ، ولكنهم لا يتزوجون بأحد
من نعرفهم . وقد أكون رجعيًا ، ولكني
متمسك برأيي ، وهو أنه ليس أمام
« الجتلمان » إلا مهنة من مهن ثلاث
— القضاء ، والجيش ، والكنيسة .

بينيلوبي : يا خالي العزيز دافينپورت ! إنك تقول
هراء .

بارلو : [مستاء] لقد سألتني الرأي وأنا لم أضنّ
عليك به . ويوسفني أن تجدي قولي هراء .

بيندزورث : وماذا تقترحين عمله الآن ؟
بينيلوبي : [بتصميم أكيد] لن أعيش وديكي تحت
سقف واحد أبداً . وسأغادر هذا المنزل
إلى غير رجعة على أثر مقابله .

بيندزورث : أفى نيتك أن تبادليه بضع كلمات ؟
بينيلوبي : بل كلمات كثيرة ... سأقول له إنني
أزدرية ... وأمقته ... وسألقي بخاتم
الزواج في وجهه ، ثم أخرج شامخة
الرأس من الغرفة .

بيندزورث : هل استقر رأيك فعلا على ألا تغفري له ؟
بينيلوبي : ما كان يحملني شيء في العالم على مخاطبته

ثانية لولا رغبتى فى مصارحته برأى
الصحيح فيه .

بارلو : ثم إن لك أسرة يجب أن تفكرى فيها ..

لا بد من أن تهجره بالطبع ... إن رأى
كما تعلمين هو أن المرء لا ينعم بالأمان مع
أناس لا متحد لهم . وإنى أنظر إلى كل
ما حدث على أنه نعمة خفيت طى نقمة .

بيدزورث : أترغبين فى رفع دعوى انفصال قانونى ؟

بينيلوبى : يا عزيزى السيد بيدزورث ، عم

تحدث ؟ ... إنى سأطلقه . سأفضحه
فضيحة مشينة :

بيدزورث : حسناً . سنستطيع عند الحاجة أن ندبر

ذلك بمعونة الصحافة .. هل قسا عليك
فى يوم من الأيام ؟

بينيلوبى : لا بحق السموات ! وهذا هو ما يؤجج

غضبى . ولقد كان خلال الشهر الماضى
أظرف وألطف مما كان عليه فى أى وقت
مضى . أوه ، بودى لو أستطيع أن أفعل
بأدا فيرجسون شيئاً يضايقها حقاً
شيئاً يكوها كياً .

السيدة جولائتلى : لقد صدمت ... صدمت صراحة . فما

كان نخطر ببالى قط أن يكون ديكى
شريراً إلى هذا الحد .

بارلو : إن حياة الأسرة فى إنجلترا سائرة فى
طريق البوار . هذه هى الحقيقة باختصار

[تلمح بينيلوي فجأة ما كان جولاييتلى منهمكا
فى كتابته ، فتلقى على الورقة نظرة مرتاعة ، ثم
تدور بنظرها] .

بينيلوي : أمى ؛ لقد حدث أمر مرعب .. لقد جن
أبى فجأة !

السيدة جولاييتلى : ماذا تقولين يا عزيزتى ؟ !

بينيلوي : طفق يجمع « واحداً » و « واحداً » مرات
ومرات فى الورقة كلها ، وجعل ناتج
جمع الرقمين فى كل مرة « ثلاثة » .

السيدة جولاييتلى : تشارلز !

[بينيلوي تناول بارلو الورقة]

بينيلوي : انظر .

بارلو : $3 = 1 + 1 \dots\dots 3 = 1 + 1$

[ثم تناول الورقة بدوره إلى بيدزوورث]

بيدزوورث : $3 = 1 + 1 \dots\dots 3 = 1 + 1$

بارلو : كنت على يقين من أن ذلك سيحدث .

وقد توقعته منذ سنوات .

السيدة جولاييتلى : اضبط أعصابك يا تشارلز !

بينيلوبي : أبي ! أعتقد حقاً أن $1 + 1 = 3$ ؟
جولايتلي : بالعكس فأنا مقتنع بأن $1 + 1 = 2$
بينيلوبي : أي شيء في الدنيا حملك إذن على جعل
جمعهما ثلاثة ؟

جولايتلي : أتعرفين لماذا تشتريين صابون بيرز ؟
بينيلوبي : أظنك قد أنهكت نفسك في العمل الشاق.
يا أبي العزيز . لماذا لا تذهب وترقد.
نصف ساعة ؟ وعندما يحضر ديكى
يعطيك دواء مقوياً .

جولايتلي : أنت تشتريين صابون بيرز لأنك قرأت
على الملصقات خمسين ألف مرة إنه لا يبارى
في تحسين البشرة .

بينيلوبي : هذا ليس مضحكاً يا أبي ولكنه سخيف .
جولايتلي : ما عليك إلا أن تكرر أي شيء بمقدار
كاف حتى يؤمن به العالم جميعه ، وإذا
آمن به العالم يصعب جداً الحكم بصدقه
أو كذبه .

بينيلوبي : وما علاقة هذا بحاصل جمع واحد
وواحد ؟

جولايتلي : ظننت أني إذا كتبت أن $1 + 1 = 3$
وكررت ذلك بما فيه الكفاية ، قد ينتهي

ذلك إلى اقتناعى بصدقه .

بينيلوبي : ولكنك إذا كررت كتابة هذه العملية

مليون مرة لن تقترب بها إلى الصديق قيد أنملة

جولايتلى : هذه هى النتيجة التى أرانى مع الأسف

مضطراً إلى التسليم بها

بينيلوبي : وبعد ؟

جولايتلى : ليست الحياة بأسرها إلا مسألة جمع

واحد وواحد ، ثم استخلاص الجواب

الصحيح .

بارلو : يا عزيزى تشارلز . لا داعى لبقائى إذا

كنت ستناقش مسألة الحياة ، ظلمت

عشرين عاماً أقول لك إنك عالم وزاهد

اعتزل الدنيا . أما أنا فقد عشت فى

متركها ، وأنا رجل عملى — وإذا شاءت

بينيلوبي أن تستشيرى ، فأنا رهن إشارتها ،

والا . . .

بينيلوبي : لا تتكلم يا خالى دافينپورت .

بارلو : أحقاً يا بينيلوبي ؟

جولايتلى : لاحظت عليك خلال السنوات الخمس

الآخيرة أنك تجمعين واحداً واحداً

وتجعلين حاصل جمعهما زهاء تسع وسبعين .

السيدة جولايثلى : لست أدرى عمّ تتحدث يا تشارلز . . .
إن سلوك ديكى مشين ، وليس له عذر
فيما فعل . والمسألة ليست إلا مسألة
الأخلاق العامة :

جولايثلى : يا عزيزتى ! أنا لا أعترض على تحدثك
حديث الأخلاق العامة بشرط أن تدعيني
أتحدث حديث الإدراك العام .

السيدة جولايثلى : يا عزيزى تشارلز ! كلاهما واحد .
بينيلوبي : إذا ظننت أنك ستحملنى على العفو عن
ذنب ديكى لمجرد قولك لى إنك كنت
أيضاً آثماً أيام صباك ، فإنى أجيبك
على الفور بأن هذا اعتذار فاشل .

السيدة جولايثلى : [نائرة] عمّ تتحدثين يا عزيزتى ؟
بينيلوبي : حسناً . لقد لاحظت أن المرأة إذا اكتشفت
خيانة زوجها لها ، حاول أقرباؤها
الذكور دائماً أن يواسوها بقولهم إنهم
هم أيضاً عاملوا زوجاتهم معاملة مشينة .
جولايثلى : يا عزيزتى ، أنا لم أكن أنوى الاعتراف
بشيء من هذا القبيل ... أنا لا أعترف
أبداً ...

بينيلوبي : بالطبع ، ولو أن الأمر قد اختلف ،

وكانت أمى هى التى جمحت قليلا ..

السيدة جولائتلى : عزيزتى ! أتريننى أستطيع القيام بحركة
بهلوانية من هذا النوع ؟

بينيلوپى : أكمل كلامك يا أبى

جولائتلى : أعتقد أنك عاملت ديكى معاملة مخزية .

بينيلوپى : [فى دهشة] أنا ؟

جولائتلى : لو أن أمك سلكت معى مسلكك مع ديكى
لأدمنت الشراب لا محالة .

بينيلوپى : ولكنى كنت معه ملا كما مبرأ من كل

عيب ... لم أقبل إلا أن أعبد الأرض التى
يمشى عليها ، لقد أحبيته حبا لم ينعم بمثله
رجل من قبل .

جولائتلى : ما من رجل يحتمل ذلك .

بينيلوپى : ماذا تقصد يا أبى ؟ ..

جولائتلى : يا عزيزتى : إنك أحبيته صباحاً وظهراً

ومساء ... أحبيته متحدثاً ، وأحبيته

صامتاً ... أحبيته إذ يمشى ، وأحبيته

إذ يأكل ، وأحبيته إذ يغط فى نومه .

لقد استحال عليه أن يهرب من حبك .

بينيلوپى : ولكن لم يكن لى يد فى هذا .

جولائتلى : لم يكن بك حاجة إلى إظهاره .

بينيلوبي : ، أتعنى أن هذا يبرر عبثه مع أدا فيرجسون؟

جولايتلى : بل يتيح له العذر .

بينيلوبي : لا بد أن يكون الرجال وحوشاً إذن !

جولايتلى : كلا ، فهم أناسى ، وإن كان ذلك

يبدو لك غريباً . إنك كنت مغرمة بالفراولة
المثلجة فى طفولتك .

بينيلوبي : ولا زلت مغرمة بها إلى الآن .

جولايتلى : أتودين أن تتناولها فى كل يوم طعاماً

للإفطار والغداء والعشاء خلال شهر بأكمله؟

بينيلوبي : يا للسماء ! إن الفكرة تخيفنى .

جولايتلى : عاش ديكى المسكين على الفراولة المثلجة

خمس سنوات . وكان هذا قوام حياته
الوحيد .

بينيلوبي : [مذعورة] أوه !

جولايتلى : أنت لم تدعيه يغادر المنزل دون أن تدخل

الردهة لتضعى قبعته على رأسه ، وتحببيه بقبلة

توديع . وهو لا يعود إلى المنزل دون أن

تنزلى إليه راكضة ، وتساعديه على خلع

معطفه وتحببيه بقبلة ترحيب . وقد رأيتك

تجلسين فوق مسند كرسیه ، وتطوقين عنقه

وهو جالس في الصباح بعد تناول إفطاره
ليقرأ صحيفته ويدخن غليونه .

بارلو : [مستنكراً] بينيلوبي !

بينيلوبي : أتظن أن ذلك كان فظيلاً جداً ؟

بارلو : يا بنيتي العزيزة !

بينيلوبي : [إلى بيدزورث] ألم تجلس السيدة

بيدزورث قط على مسند مقعدك وأنت

تدخن غليونك ؟

بيدزورث : لا بد أن أعترف بأنني مدين لزوجتي

بالشكر ؛ لأنها كانت تنفق هذا الوقت

في العناية بشئونها المنزلية .

بينيلوبي : يا لكم من قوم مزعجين . طلبت إليكم

الحضور لتشاركوني في شعوري ، فإذا

أنتم تقسون على قسوة وحشية .

بارلو : لكل شيء حدود يا عزيزتي بينيلوبي .

بينيلوبي : على أي حال لا يهمني . وسأطلقه .

جولايثلي : لنحسب حسبة بسيطة أخرى . . . هل

تسمحين ؟ فلعل جمع واحد وواحد ينتج

اثنتين هذه المرة .

بينيلوبي : لست أراني مغتربة بكوني ابنة عالم في

الرياضيات .

جولايتلى : ألا ترين أنه من الأفضل اكتساب حب
زوجك من جديد بدل الطلاق منه ؟

پينيلوپي : أنا لا أرغب في حبه .
جولايتلى : [مبتسما] أواثقة أنت من أنك ترفضين
حبه فيما إذا استطعت أن تحصلي عليه ؟

پينيلوپي : [تنظر پينيلوپي إلى أبيها لحظة ثم تتوجه إليه بسرعة]
[وفي صوتها دموع] أبي ، أتظني أستطيع
يوماً أن أستعيد حبه ؟ أنت تقول إنني
فقدت حبه بنحطتي . أوه ، لست أدري
ماذا أصنع بدونه ! لقد أصبحت تعيسة جداً
مذ علمت بالأمر . ولكم بذلت من جهد
لأهون منه ، ولكن لبتك تعلم ما أشعر به
في سويداء قلبي ... أوه ، لم لم يكتّم هؤلاء
المتوحشون الأمر عني ؟

بارلو : يا عزيزتي پينيلوپي . كنت أتوقع أن أجذك
أكثر كبرياء . إنه رجل لا أصل له .
وقد ظننت أنك نعمت بالخلاص منه .

پينيلوپي : يا خالي دافينپورت ، إذا مسسته بكلمة
سأصاب فوراً بنوبة هستيرية .

بارلو : لست أدري أي نصيحة تنتظرين من أبيك
جولايتلى : (مبتسما) . من فم الأطفال والرضع

يا دافينپورت(*)؛

بارلو : لم يخطر ببالى أن أحداً يستطيع نعتك
بالطفل أو الرضيع . . . ولكنى لا أستطيع
البقاء أكثر من ذلك على أية حال :

پينيلوپى : أوه ، لا تخرج الآن يا خالى دافينپورت .
بارلو : يبدو أن نصيحتى غير مرغوب فيها . ثم إنى
وعدت الليدى هولينجتون العزيرة أن
أزورها قبل العشاء .

پينيلوپى : بربك اعتذر تليفونياً عن الذهاب إليها .
وستجد التليفون فى غرفة الجلوس .

بارلو : [يهز كتفيه] إنى شديد التساهل . والناس
لا يقدروننى حق قدرى . [يخرج]
پينيلوپى : أبى ! قل إنك ستعيد إلى ديكى . إنى
أريده . إنى أريده .

جولايتلى : الأمر فى منتهى البساطة يا عزيزتى . وكل
ما فيه أنه يحتاج إلى قدر كبير من اللباقة
وقدر كبير من الشجاعة ، وقدر كبير من
ضبط النفس .

پينيلوپى : [ساخرة] ألا يحتاج إلى شيء آخر أيضاً ؟

(*) إشارة إلى قول المسيح « من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً »
(انجيل متى ٢١ : ١٦) .

جولائتلى : محتاج إلى الكثير . بحب ألافلت زمانك

من يدك ، ويجب أن تراقب لسانك وعينيك وابتساماتك وطبعك .

پينلوپي : أظنك قلت لي إن الأمر في منتهى البساطة .

جولائتلى : هل أدا فيرجسون جميلة ؟

پينلوپي : لا . فهي بشعة جدا .

جولائتلى : أمي كذلك ؟ هذا يجعل الأمر أشد

خطورة .

پينلوپي : لماذا ؟

جولائتلى : إذا وقع الرجل في حب امرأة جميلة

زهدها . أما إذا وقع في حب امرأة

قبيحة فإن حبه لها سيبقى ما بقي هو

حيا .

پينلوپي : لقد أزحت عبثاً عن صدري . فأذا

فيرجسون جذابة جدا .

جولائتلى : ستمكنين إذن من استعادته .

پينلوپي : خبرني بالضبط عما يجب اتباعه ، وسأتبعه .

جولائتلى : أعيديه إلى رشده .

پينلوپي : أهذا كل ما في الأمر ؟

جولائتلى : هذا يعني الشيء الكثير . لا تتشاجري

معه عند عودته ، ولكن كوني ظريفة

معه . ولا تسأليه هذه المرة أين كان ولو
لمرة . وإذا خرج لا تسأليه إلى أين ،
ولا في أية ساعة سيعود . ولا تجعله
يعلم أنه يخامرك أقل شك في أن شيئاً ما
قد حدث . بل على العكس انتهزى
كل فرصة لتدفعيه إلى الاجتماع بأدا
فيرجسون .

السيدة جولايلى : تشارلز ! .. أنت تطلب إلى بينيلوبي أن
تتستر على الفساد .

جولايلى : إذا أزيلت كل عقبة من طريق ديكى
وجد أن نصف لذة هذا الغرام الذى يخفيه
قد ضاعت . وعندذاك تكونين كسبت
نصف المعركة . وعليك أن تتركى الباقي
للزمن ولأدا فيرجسون دعى أدا
فيرجسون تجلس على مسند مقعده حينما
يريد قراءة صحيفته . ودعيه يعلل تحركاته
كلها لأدا فيرجسون . إن المرأة في ظروف
كهذه تستبد بها الشكوك دائماً ، ولهذا
فهى ترهق الرجل دائماً . فإذا انقطع
الحديث برهة ستسأله أدا فيرجسون أتجنى
اليوم مثلاً كنت تجننى دائماً ؟ وهذا القول

ليس إلا الحبل الذى يلتف حول عنق
الحب ليخنقه وإذا أراد ديكى أن ينصرف
ستتوسل إليه أدا فيرجسون أن يبقى خمس
دقائق أخرى . وهذه الدقائق الخمس
التي يمكنها الرجل رغم أنفه هي المسمار
الذى يدق في نعش الحب ... وفي كل
مرة يهمّ ديكى بالانصراف ستقول له
أدا فيرجسون : متى ستعود ؟ وهذا
السؤال هو التراب الذى يهال على قبر
الحب .

[وفي أثناء ذلك كله تشخص بينيلوبي إلى
جولايتلى مذهولة]

- | | |
|----------|---|
| بينيلوبي | : أين تعلمت هذا كله يا أبي ؟ |
| جولايتلى | : [يهز كتفيه هزة استنكار] المسألة ليست
إلا جمع واحد وواحد يا عزيزتى . |
| بينيلوبي | : لم أكن أعلم أن الرياضة طريقة إلى هذا
الحد . . وفاجرة إلى هذا الحد ! |
| جولايتلى | : وما رأيك فيما قلت ؟ |
| بينيلوبي | : ولكن حتى إذا أقلع ديكى عن حب أدا
فيرجسون فليس هناك ما يدعو إلى وقوعه
في حبي من جديد . |

- جولائتلى : يجب أن تحمليه على ذلك .
- پينيلوپي : وددت لو أعلم كيف .
- جولائتلى : الأمر لا يتطلب إلاّ بعض المزيد من اللباقة ، وبعض المزيد من الشجاعة ، وبعض المزيد من ضبط النفس .
- پينيلوپي : ولكنى إذا اكتسبت هذه الوفرة من الفضائل أصبحت هولة لا امرأة . وكيف يهوانى فى هذه الحالة ؟
- بيدزورث : [من جانب النافذة] هناك سيارة تقف بالباب .
- پينيلوپي : أنصتوا إني أسمع صوت مفتاح يدور . لا بد أنه ديكى .
- بيدزورث : ماذا تنوين أن تصنعى ؟
- پينيلوپي : [مترددة] ما رأيك يا أمى ؟
- السيدة جولائتلى : يا عزيزتى . إني أعارض فكرة أبيك بشدة ، ولا أتصور كيف خطرت له ببال . ولكن لا يسعنى إلا القول بأن فيها شيئاً من سلامة الإدراك .
- پينيلوپي : [مستقرة على رأى] سأحاول . . . تذكروا أن أحداً منكم لا يعرف شيئاً عما حدث . . . وأنت ستظاهرينى يا أمى ، أليس كذلك ؟

السيدة جولايلى : إنك لن تطلى منى أن أدلى بسلسلة من
الأكاذيب يا عزيزتى ؟

پينيلوپى : الأكاذيب البيض فقط يا أمى . وإذا لم
يكن بد من كذبة كبرى فسأقولها أنا
نفسى .

بيدزورث : ولكن ، ماذا سيكون موقف بارلو ؟
جولايلى : إنه رجل خبير بالحياة ! .. وسيدس أنفه
فى الأمر دون مرأى .

پينيلوپى : أنا كفيلة به .

[يدخل بارلو]

پينيلوپى : آه .

بارلو : لم أستطع الاتصال بها . لست أدرى
ماذا جرى لعاملات التليفون هؤلاء ...
يا لهن من فاجرات !

پينيلوپى : يا عمى دافينپورت ، وجدت أنى أخطأت

فى حق ديكى تماماً . فهو غير ملوم فى شىء

بارلو : يا إلهى الرحيم ! .. وأدا فيرجسون ؟

پينيلوپى : لا أشك فى أنها ليست أسوأ من أى امرأة
غيرها .

بارلو : هذه مفاجأة . ولكن بربك كيف وصلت

إلى هذه النتيجة ؟

پینیلوپی : بجمع واحد وواحد ... *
بارلو : يا للعجب ! لا بد أن أقول إن اضطرابى
إلى الإخلال بموعد هام لغير سبب أمر
يغىظنى . كنت أظن ...

پینیلوپی : [تقاطعه] يا خالى دافينپورت ، إنه لما
يسوء حقا أن اضطرب إلى التخلي عن الضجة
التي نويت القيام بها . أما إذا كنت تنوى
أنت القيام بها ، فهذا فوق ما أحتمل .

بيدزوورث : ما دمت لا أستطيع أن أقدم معونة جديدة
فمن الخير أن أعود إلى أحضان أسرتى .

پینیلوپی : بالطبع أنا أعد زيارتك هذه زيارة مهنية

بيدزوورث : أوه ، هراء !

پینیلوپی : لم يخطر لي ببال أن أقبل خدماتك دون
مقابل . أرجوك أن تذكر المبلغ الذى أنا
مدينة لك به

بيدزوورث : الحق أنى لا أدرى ماذا أقول .

پینیلوپی : ديكى يتقاضى جنيتها وشلنا عن كل زيارة
لمريض .

بيدزوورث : ولكنك لم تذكرى فى برقيتك إلا ستة
شلات وثمانية بنسات .

پینیلوپی : حسناً . أنا مدينة لك بهذا المبلغ . وهذا

في الحق يجعلني أشعر بأنني أكثر راحة .

بيدزورث : إنك لن تسلميني المبلغ الآن نقداً ؟

بينيلوبي : لم يخطر لي أن أدفعه لك . ولكن يطيب

لي أن أتصور أنني مدينة لك به . وفي هذه

الحالة لن أشعر بأنني مطوقة بأى جميل .

بيدزورث : إذا كان الأمر كذلك فأنا أذعن للأمر .

إلى اللقاء .

بينيلوبي : إلى اللقاء .

بارلو : إلى اللقاء يا بيدزورث . لا بد أن تأتي

إلى النادي يوماً لتتناول الغداء معي .

بيدزورث : يسرني ذلك . إلى اللقاء [يخرج]

بارلو : رجل ظريف جداً ... «جنتلمان» بحق ...

فما من أحد يتصور أنه محام .. سأدعوه

لتناول الغداء مع واحد أو اثنين ممن لا

ييالون الفوارق الطبقة .

بينيلوبي : ها هوذا ديكى . أسمعونه يصفر ؟ يبدو

جلياً أنه فى غاية الانشراح .

[يدخل ديكى . وهو رجل عليه سيماء أصحاب

المهن الحرة ، حسن المظهر ، أنيق الملبس ، فى نحو

الخامسة والثلاثين من عمره ، شديد المرح ، فكه الطبع

إلى حد بعيد . ونادراً ما يخرج شئ عن بشاشته .

وفى أسلوبه ظرف يفسر شغف بينيلوبي به]

- ديكى : هالو . لم أفهم ماذا جرى لك يابن ؟
- پينيلوپي : لماذا ؟
- ديكى : كنت تنزلين عادة لاستقبالى عند حضورى
- [تصدر حركة خفيفة من پينيلوپي ، وتدارى ابتسامة] .
- پينيلوپي : أمى التقية موجودة .
- ديكى : [جذلاً] ليس هذا سبباً يدعوك إلى إهمال زوج مخلص [يصافح السيدة جولاييتلى]
- كيف حال أمك التقية ؟ ... هالوياخلالى دافينپورث ، ما ثمن الدوقات فى السوق اليوم ؟
- بارلو : أستمحك عذراً ، لست أدري ماذا تقصد .
- ديكى : [يدور بلحظه فى القناني والأكواب المبعثرة فى الحجرة] قولوا الحق ، ألم تكونوا تنعشون أنفسكم ؟ من كان يشرب الپورت ؟
- پينيلوپي : لا أحد . إنها كأس فارغة .
- ديكى : هكذا تتصرف الأقدار معى . فهى تضع المغريات متعمدة فى طريقى . الحمر ليست إلا سماً لى ، فداء المفاصل وراثى فى أسرتى كما تعلمون ، وقد عاش أجدادى مائة عام

على نبات السورنجان : وإني لأشعر
بوخز أليم في أصابع قدمي لمجرد رؤية
زجاجة من البورت . وبرغم ذلك أتناوله .
[يملأ لنفسه كأساً ويرشفها في لذة كبيرة]

بارلو : من الخطأ الجسم طبعاً أن تحال داء
المفاصل دليلاً على شرف المحتد ، فإن
بواب نادى من شهداء هذا الداء .

ديكى : قد يكون ابناً غير شرعى لأحد
الأشراف . عليك أن تسأله عما إذا كانت
كتفه اليسرى مدموغة بشارة الشليك ...
ماذا بك يا بين ؟

بينيلوي : [متعجبة] بي أنا ؟

ديكى : خيل إلى أنك مبتثثة قليلاً .

بينيلوي : لماذا ؟

ديكى : لست أدرى . فأنت لا تبدين على حالتك

الطبيعية تماماً . أليس كذلك ؟ فأنت لم
تسألني عما كنت أفعله اليوم . والقاعدة
أنك تهتمين بتحركاتي كل الاهتمام .

بينيلوي : [وهي ترمق أباهما بنظرة] ظننتك ستخبرني
بهذه التحركات لو شئت .

ديكى

: أظن أن هذا كثير ، فأنا أكيد كالعيد
خارج الدار لأوفر لك سيارة ، وملابس
وأشياء أنيقة ، بينما لا تهتمين أنت أقل اهتمام
بما أفعل .

پينيلوپي

: [مبتسمة] حسنا . ماذا كنت تصنع بعد
ظهر اليوم ؟

ديكى

: [يتنفس الصعداء] أوه ، كان يومى يوما
عصيباً . وأنا مشغول هذه الأيام بحالة هامة
جدا تستغرق منى وقتاً طويلاً ، وهى تقلقنى
بعض القلق بالطبع ، ولكنى إخال مثل
هذه الأمور تعرض لنا فى عملنا اليومى .
على أى حال أنفقت هناك ما يقرب من
ساعة .

پينيلوپي

: ساعة ؟

ديكى

: نعم . كنا نتشاور فى مرضها كما تعلمين .

پينيلوپي

: ولكنكم كنتم تتشاورون فى مرضها أمس .

ديكى

: أمس ؟ .. نعم ، إنها عجوز تغالى فى
الاهتمام بنفسها ، وتطلب الاستشارات
دائماً .

پينيلوپي

: هذا مبهج ، أليس كذلك ؟

ديكى

: أنا لأظنه كذلك . إذ يبدو أنها لا تثق بى حقاً .

بينيلوبي : ولكنك تستطيع أن تطلب ضعف الأجر .
أليس كذلك ؟

ديكي : نعم ، بالطبع . إن للمسألة هذه الميزة .
بينيلوبي : كنت أتوق منذ مدة طويلة إلى شراء
كتاب من الإرمين ، وسأشتريه الآن .

ديكي : [يظهر عليه الابتئاس] أوه ، ولكني لم
أتقاض أجرى بعد .

بينيلوبي : سيسرّ البائع أن ينتظر . وهي صفقة رابحة .
ديكي : [لتغيير الحديث] حسناً . ولقد شعرت بعد

الاستشارة بأنني مرهق إلى حد اضطرني
أن أقصد النادي لألعب دوراً من البريدج .
جولايتلي : على فكرة ، ما اسم مريضتك ؟

ديكي : اسم مريضتي ؟

بينيلوبي : أوه ، نعم . فقد كنت أقول لأبي إنك

تعالج مريضة جديدة تكسب من علاجها
كنزاً من المال ، ولم أستطع تذكر اسمها .
ديكي : [مرتبكا] أوه — إ ، السيدة ماك . . .

بينيلوبي : السيدة ماك ماذا ؟

ديكي : السيدة ما ك فقط .

بارلو : السيدة ما ك فقط ؟ ماذا تعني ؟ أنا لم أسمع

قط عن أسرة باسم ما ك فقط .

ديكى : لا ، بالطبع . فاسمها ليس ما ك فقط .
بارلو : ولكنك قلت ما ك فقط في وضوح .
ديكى : يا عزيزتي بين ، أذكرت أنا شيئاً عن
ما ك فقط ؟

بينيلوبي : حسناً ، ما اسمها إذن ؟
ديكى : لي عشر دقائق أقول لك إن اسمها السيدة
ماك .

بارلو : ولماذا لم تقل هذا بربك فوراً ؟
جولايتلي : وكيف عثرت على هذه العميلة السخية ؟
ديكى : أوه . كان ذلك توفيقاً كبيراً . . . وقد
حدثها عنى صديقتك الصغيرة تلك
يا بين . . . ما اسمها ؟

جولايتلي : يبدو أن ذا كرتك قاصرة عن حفظ الأسماء
كل القصور يا ديكى . وعليك أن تعقد
منديلك ، لتذكر .

ديكى : هي صديقة بين . [يتظاهر بأنه يحاول التذكر
ويتذكر] زوجها في البحرية ، ومقره في
مالطة . أليس هو كذلك ؟

بينيلوبي : أدا فيرجسون .
ديكى : هي بعينها ، بالطبع . السيدة فيرجسون .
بارلو : أظنها من أسرة فيرجسون أوف كينجارت .

ديكى : ليس لى أى علم بذلك . إنما خيل إلى
أنها امرأة لطيفة ضئيلة الجسم . ولكن
لا بد أن أصارحكم بأنها لم تثر اهتمامى
كثيراً .

[تدخل بيتون لتعلن قدوم السيدة فيرجسون .
وهى امرأة جميلة متألفة فى نحو الثلاثين من سنها]
بيتون : السيدة فيرجسون .

[يمتلئ ديكى ذعراً . تخرج بيتون . وتمر لحظة
قصيرة يسود فيها الارتباك . ولكن سرعان ما تمالك
بينياوي نفسها ، وتتجه إلى الزائرة مظهرة شدة
الترحيب]

بينيلوي : كيف حالك ؟

السيدة فيرجسون : أهو وقت غير مناسب للزيارة ؟

بينيلوي : لا ، بالطبع . يسرنى دائماً أن أراك .

السيدة فيرجسون : قضيت ساعات العصر بأكملها فى التسوق .

ثم خطر لى فجأة أنى لم أرك منذ عهد بعيد .

بينيلوي : أتعرفين أمى التقية ؟

السيدة فيرجسون : كيف حالك ؟

بينيلوي : وهذا أبى النيل . وهذا خالى .

بارلو : كيف حالك ؟

[يبدو واضحاً أن السيدة فيرجسون قد استهوت
كثيراً] .

السيدة فيرجسون : [تلتفت بلطف إلى ديكى] ألم تنسى ؟

ديكى : لا بالطبع .

السيدة فيرجسون : نحن لم نتقابل منذ دهور ، أليس كذلك ؟

ديكى : أجل ، منذ دهور .

السيدة فيرجسون : مررت بجانبك فى «بيكاديلى» منذ أيام ،

فتجاهلتنى تماماً .

ديكى : آسف كل الأسف . فنظرى شديد القصر .

بينيلوپى : إنك لست قصير النظر بحال ياديكى ،

فكيف تستطيع تلفيق أكاذيب كهذه ؟

بارلو : [بكىاسة متعالية] يشعر ديكى أن الحائل

المادى هو العذر الوحيد الذى يمكن أن

يبرر عدم التفات الرجل إلى امرأة جميلة .

السيدة فيرجسون : أوه إنه لكرم منك أن تقول هذا .

بارلو : أبداً ، أبداً .

بينيلوپى : أردت شكرك على أنك جئت لديكى

بهذه العميلة الطيبة .

ديكى : [بعجلة ، وقد رأى نظرة الدهشة على وجه

السيدة فيرجسون] كنت الساعة أحسدت

زوجتى عن السيدة ماك .

السيدة فيرجسون : [دون أن تفهم شيئاً] أوه ، نعم .

ديكى : كان كرما منك حقاً أن تشيرى عليها

باستدعائي لعلاجها . وقد ذهبت لأعودها
بعد ظهر اليوم .

السيدة فيرجسون : [مدركة الأمر] أوه ، نعم ، فأنا أحب
أن أبذل جهدي في معاونة الناس . وآمل
أن تجدها عميلة لطيفة .

بينيلوبي : يبدو أنها في حاجة إلى زيارات كثيرة .

السيدة فيرجسون : نعم ، وكانت تحدثني منذ أيام فقط عن
إعجابها الشديد بالدكتور أوفاريل ،
وأخشى أن يكون مرض العزيزة المسكينة
شديد الوطأة .

ديكي : أقول لك الحق ، إن حالتها تقلقني كثيراً .

السيدة فيرجسون : من بواعث الغراء لأصدقائها جميعا
علمهم أن الدكتور أوفاريل يتولى علاجها

بارلو : إنني لأتساءل أهي من أسرة ماك في
ستافورد شاير أم من أسرة ماك في
سومرستشاير ؟

ديكي : لا علم لي بذلك قط .

بارلو : ماذا تعني بقولك هذا ؟ لا بد أن تكون
مريضتك من هذه الأسرة أو تلك .

بينيلوبي : ما شكلها ؟

ديكى : أوه ، لست أدري . أظن أنها كغيرها من الناس .

پينيلوپي : لاتكن أبله يا ديكى . فأنت تعلم دون ريب أهى بدينة أم نحيلة .

ديكى : [ناظراً إلى السيدة فيرجسون] أراها سمينة أليس كذلك ؟

السيدة فيرجسون : مفرطة السمنة .

پينيلوپي : أهى كذلك ؟

ديكى : وشعرها أشيب

السيدة فيرجسون : وكله جدائل لولبية صغيرة .

ديكى : [ضاحكا] نعم . ولست أدري كيف تصنعها

السيدة فيرجسون : ولها عينان زرقاوان بديعتان ، أليس كذلك ؟

ديكى : نعم . عينان زرقاوان بديعتان .

پينيلوپي : وما اسمها الأول ؟

ديكى : لست أدري كلية .

السيدة فيرجسون : [فى سرعة] كاترين .

پينيلوپي : كاترين ماك ؟ إنها صديقتك القديمة بأمى ،

كاترين ماك ... يالها من مصادفة غريبة !

جولايتلى : كاترين ماك . أى نعم ، بالطبع إنى

أتذكرها جيداً . الجداول الشياء اللولبية

الصغيرة ، والعينان الزرقاوان البديعتان .

بينيلوبي : ألا يسرها أن تعودها أمي ؟

ديكي : أخشى أنها لا تستطيع حتى الآن لقاء أحد .

جولاييتلي : لا بد أن تخبرها أننا آسفون جداً لمرضها

ديكي : أي نعم . سأبلغها أية رسالة تريدونها .

السيدة جولاييتلي : [في شيء من الجفاء وهي تقوم] أظن أنه ينبغي

على الانصراف . أتأتى معي ياتشارلز ؟

جولاييتلي : نعم ، يا عزيزتي .

بينيلوبي : مع السلامة يا أمي العزيزة .

[يتحدثون جانباً بينما ترتدى السيدة جولاييتلي

معطفها . ويتركون ديكي منفرداً في الواقع بالسيدة

فيرجسون] .

ديكي : [بصوت منخفض] خبريني ماذا جاء بك

إلى هنا الآن ؟

السيدة فيرجسون : إنك لم تخبرني عن الميعاد الذي أقابلك فيه غداً .

ديكي : عجباً . كنت تستطيعين مخاطبتي تليفونيا

السيدة فيرجسون : أوه ، أنا لا أأتمن التليفون أبداً

ديكي : ماذا تعنين بأنك لا تأتمنين التليفون ؟ هل

تعودت أن ...

السيدة فيرجسون : ديكي !

ديكي : عفواً . أنا لم أقصد ذلك .

السيدة فيرجسون: بالله ماذا دعاك إلى اختلاق هذه الحكاية
السخيفة عن السيدة ماك ؟

ديكى : أنا لم أختلقها . ولكنها اختلقت نفسها .
فقد اضطررت إلى تعليل تنقلاتي .

السيدة فيرجسون: أتعني بقولك هذا أن زوجتك تسألك
أين كنت وإلى أين تذهب ؟ ما أشبه هذا
بخلق المرأة ! [في براءة] وعلى فكرة ،
كيف ستقضى هذه السهرة ؟

ديكى : [منتبهاً] أوه . سأتناول طعام العشاء مع
بينيلوبي في مطعم كارلتون ، ثم سنذهب
إلى إحدى قاعات الموسيقى .
[يأتي بارلو صوبها]

بارلو : إلى اللقاء يا سيدة فيرجسون :
السيدة فيرجسون: [مظهرة شدة العاطفة] إلى اللقاء .
بارلو : [إلى بينيلوبي وهو يصافحها] امرأة رائعة حقاً .
بينيلوبي : [تتظاهر بالغضب] يا خالي دافينپورت !
بارلو : إلى اللقاء يا عزيزتي . إنها سيدة مجتمعة حقاً .

[يخرج بارلو والسيدة جولاييتلى]
جولاييتلى : [وهو يتبعهما] هل هدأت نفسك ؟
بينيلوبي : نعم . دعني أدبر الأمر . لقد بدأت
أتبين طريقى .

جولايتلى

[وعلى ثغره ابتسامة] لاحظت ذلك .

[يخرج جولايلى]

السيدة فيرجسون

خالك رجل ظريف يا بينيلوپي ، رجل ممتاز حقاً .

بينيلوپي

إنك غزوت قلبه ، وقد قال لى عنك إنك إمراة رائعة جداً .

السيدة فيرجسون

حقاً ؟ يقول الرجال عنى غالباً إننى إمراة كلها أنوثة .

بينيلوپي

السيدة فيرجسون

لعل القولين يؤديان إلى نفس المعنى . ولكن لا بد من انصرافى أنا أيضاً فوراً . فالواقع أنه لم يخطر ببالى أن الوقت متأخر إلى هذا الحد .

بينيلوپي

السيدة فيرجسون

أأنت مشغولة الليلة ؟ أوه ، لا . فأنا أعيش فى هدوء تام ، ولا أجد شيئاً أمتنع من قضاء سهرة بمفردى ، .. مع كتاب .

بينيلوپي

السيدة فيرجسون

كنت فيما مضى شديدة الولى بالحفلات . أنا أعلم أن زوجى يؤثر اعتكافى فى المنزل . وعند ما أفكر فيه وهو يخدم وطنه بشجاعة فى بلد غريب لا يطاوعنى قلبى على اللهو .

بينيلوبي

يا للطبع الفاتن !.

السيدة فيرجسون : (إلى ديكى) إن زوجى رجل عسكرى ومقر عمله فى مالطه كما تعلم . ومن المؤلم حقاً أن صحتى تضطرنى إلى البقاء فى إنجلترا .

بينيلوبي

: ترى أيمكن أن تؤدى لى معروفاً كبيراً ؟
السيدة فيرجسون : يا عزيزتى ، أنا على استعداد دائماً لأداء أية خدمة لصديقة قديمة .

بينيلوبي

: الواقع أنى عانيت صداً مزعجاً طوال هذا المساء .

ديكى

: [متصراً] لقد أدركت ساعة مجيئى أن بك شيئاً .

بينيلوبي

: ان لدينا مقعدين محجوزين الليلة فى إحدى القاعات الموسيقية . فإذا ذهبت إلى الحفلة مع ديكى بدلاً عنى كان ذلك فضلاً كبيراً منك .

[تدور نظرة تفاهم بين ديكى والسيدة فيرجسون]

السيدة فيرجسون : أنا ؟

بينيلوبي

: ديكى يكره الخروج بمفرده ، وأنا فى الواقع لا أستطيع حراكاً . إنكما تستطيعان أن تتناولاً معاً أكلة صغيرة شهية فى أحد المطاعم ، ثم تذهبان إلى الحفل .

ديكى : أمانة أنت من عدم قدرتك على الذهاب
يا بين ؟

بينيلوي : لا جدال فى هذا قط .
السيدة فيرجسون ألا تظنين أن الأجدد بالدكتور أوفاريل أن
يبقى للعناية بأمرك ؟

بينيلوي : أوه ، لا ! فإن الخروج يفيد ، لقد اجهد
نفسه فى العمل كل الإجهاد ، واشترك
بعد الظهر فى استشارة طبية استغرقت
ما يقرب من ساعة .

السيدة فيرجسون [لديكى] أتريدنى أن أذهب معك ؟
ديكى أحب ذلك إذا كان لا يضايقك .

السيدة فيرجسون إذن سيهجنى أن أصحبك .
بينيلوي أشكرك كل الشكر . ولكن الوقت تأخر
جداً ، وأظن أنه يجدر بكما الخروج فى
الحال .

ديكى أنت واثقة يا بينيلوي من أن تركى لك
وحده لا يضايقك ؟
بينيلوي أوكد لك ذلك .

ديكى حسنا . انتظرى دقيقة واحدة وسأعد
لك جرعة من دواء .

بينيلوي [بسرعة] أوه ، لا . أوكد لك أنى أغدو

أحسن حالا بدون الدواء .
ديكى هراء . لا بد لي بالطبع من أن أعطيك
دواء . [يخرج]

السيدة فيرجسون : هذه هي فائدة وجود طبيب في الأسرة
بينيلوبي : [بنضب] نعم إنها فائدة جلي .
السيدة فيرجسون : أنا في الحق أحسدك على وجود زوجك
إلى جانبك . وكلما فكرت في زوجي
يخدم وطنه في شجاعة — وأنت تعلمين
أنى لم أذهب إلى طبيب إلا وأنبأني بأن
سفرى إليه يعرضني لخطر كبير .
[يحضر ديكى ومعه كوب طبي مملوء بسائل في
لون اللبن] .

ديكى : ها هوذا الدواء .
بينيلوبي : أوه ، لا ياديكى . فأنا أفضل ألاأتناوله .
ديكى : لا تكونى بلهاء يا عزيزتى . فلاشىء يشد
قواك مثل هذا الدواء .

السيدة فيرجسون : رأيى أن ترقد .
بينيلوبي : لا . وأظن أنى أفضل الوقوف إذا لم يكن
عندك مانع .

ديكى : إنك غير معقولة أبداً . والآن ارقدى فوق
هذا المتكأ .

بينيلوبي : سأفعل إذا لم يكن من ذلك بلد . [ترقد فوق
المتكأ المستطيل]

السيدة فيرجسون : لا بد أن نوفر لك الراحة قبل خروجنا .
ديكى : لنضع جميع الوسائد خلف ظهرها . أهذا حسن ؟

بينيلوبي : نعم ، أشكرك
ديكى : يا للصغيرة المسكينة .

السيدة فيرجسون : لا شك أنها تحتاج إلى غطاء فوق رجلها .
ديكى : لنضع هذه (البطانية) على قدميها... هاهي .
: والآآن خذى الدواء ... هوذا ...

بينيلوبي : أوه ، لا يا ديكى . سأتجرعه بعد
خروجكما . سأتجرعه حقاً . إنى أعدك بذلك .

ديكى : وأى شىء بالله يحول دون تجرعه الآن ؟
بينيلوبي : الواقع أنى أكره أن أعبس بوجهى
أمامكما .

ديكى : ولكنى كثيراً ما رأيتك تعبين .

بينيلوبي : نعم . أعبس لك . هذا شىء آخر .

ديكى : والآآن تجرعه كما تفعل الفتاة الطيبة .

بينيلوبي : بعد انصرفكما .

السيدة فيرجسون : [مصممة كل التصميم] لن أتحرك من هذه
الغرفة إلا بعد أن تتجرعه .

بينيلوبي : [مستسلمة] أعطنيه . أمسك أنفى يا ديكى

[تبلع الدواء وتبس] أوه ، ليتنى لم أتزوجك

يا ديكى .

ديكى : سيجعلك تشعرين كالحصان .
بينيلوپى : ولكنى لا أريد أن أسمر بأنى كالحصان .
السيدة فيرجسون : إلى اللقاء . يؤسفنى أن أراك موعوكة .
ديكى : إلى اللقاء يا عزيزتى .
بينيلوپى : آمل أن تقضيا أمتع وقت .

[يخرج ديكى والسيدة فيرجسون . وتهب
بينيلوپى واقفة ، وتلقى بالوسائد جانباً فى غضب .
وتخطو خطوة أو خطوتين صوب الباب كأنها تهم
بأن تستدعيهما . ثم تتوقف] .

بينيلوپى : لا ، لن أفعل ذلك . لن أفعل ذلك .
[وتعود على مهل ، ثم تتهاك على المقعد
وتنفجر باكياً] .

انتهى الفصل الأول

الفصل الثاني

المنظر

غرفة عيادة الدكتور أوفاريل . وهي
مؤثثة برياش مريجة ، وحوائطها معلق عليها
صور محفورة ، وصور "فوتوغرافية"
في أطر فضية : . . . وفوق المدفأة أزهار
وبأحد جوانبها مكتب كبير عليه صحف
وكتب ومصباح كهربى ، وله كرسى دوار
لجلوس ديكى ، وفي الناحية المقابلة للمكتب
كرسى آخر لجلوس المرضى . وعلى
منضدة جانبية ميكروسكوب وحامل
لأنابيب الاختبار ، وزجاجة دواء أو
زجاجتان ، وصف من زجاجات كبيرة
مملوءة بمواد كيميائية ، ومصباح كهربى .
وبالغرفة أيضاً متكأ ، بغير مساند معد
لرقاد المرضى ، فضلاً عن كرسى أو
كرسين . وعلى الرفوف كتب طبية .

وفوق منضدة صغيرة مجموعة من مجلة
« دى لانسيت »

ديكى جالس إلى مكتبه ، وساعته الطبية
ما زالت عالقة بأذنيه ، وأحد المرضى واقف
يزرر حمالة سراويله ، ويرتدى صدره
وسترته أثناء مجرى الحديث . والرجل
قصير حيّ جداً ، أصلع الرأس ، ذو
عوينات ذهبية ... شديد العصبية كثير
الاعتذار .

ديكى : سأكتب لك الآن تذكرة الدواء ، هل
تسمح ؟

المريض : أوه ، هذا تفضل كبير منك ، وأخشى أن
أكون قد أزعجتك إزعاجاً شديداً .

ديكى : لا ، أبداً . والآن أى دواء تريد أن
أصفه لك ؟

المريض : [شديد الارتباك] أوه ، كما تشاء ، من
فضلك ، هذا تفضل كبير منك .

ديكى : ليس بك مرض ذو بال .

المريض : أوه ، كم أنا متأسف ! . إننى حقاً ،
حقاً

ديكى : كنت أظنك أولى أن تسر .

المريض : [معتذراً] نعم ، بالطبع . أنا مسرور جداً . ولم أكن أقصد ذلك . . . إلى شغلت كثيراً من وقتك .

ديكى : أنا لا أكسب رزقى إلا من الذين لا يعانون شيئاً ذا بال . أما المرضى فإما يشفون وينصرفون عني ، وإما يموتون ، وبهذا تنهى صلتى بهم .

المريض : نعم ، أدرك ذلك . ولكنه لم يخطر لي ببال قط . . . إنه ليوم بديع ، أليس كذلك ؟

ديكى : هلاً جلست ؟

المريض : أوه . إنه تفضل كبير منك . أشكرك . أشكرك ، أخشى أن أكون قد شغلت قدراً كبيراً من وقتك .

ديكى : أنا أجلس عملاً دائماً في الناحية المقابلة من مكنتي منذ أن رأى أحدهم فجأة أفعى تزحف على ، فانقض على عنقي لينقلني من لسعها ، وكاد في انقضاضه على أن يخنقني . وعندما جثوث على صدره اتهمني بأني شيطان جاحد للجميل ، وقال إنه لن يتعرض للأفاعي إذا زحفت على ثائبة .

المريض : [شديد الانفعال] أوه ، ولكنك لا تظن

أنى أتهددك أى تهديد بالانتقضاض على

عنقك ، أليس كذلك ؟

ديكى : [يطلق ضحكة] لا ، بالطبع .

المريض : أنا لا أشرب شيئاً وقت الغداء . وأشرب

النبيذ الأحمر والماء مع العشاء .

ديكى : أحسبك لا تظن أنك حصلت على مقابل

لمالك إذا لم أصف لك دواء ؟

المريض : آه ، إنه تفضل كبير منك . ولكنى أرى

أن تصف لى شيئاً لإرضاء لزوجتى .

ديكى : حسناً ، انظر . فى تذكرة الدواء شىء

من « الستريكنين » لتقويتك ، و شىء من

« البزموت » تهدئة أعصابك ، اشرب هذا

الدواء ثلاث مرات بعد الأكل يومياً .

المريض : أوه ، أشكرك شكراً جزيلاً . أنا واثق

من أن هذا ما أحتاج إليه بالذات .

والآن — إ... والآن — إ....

[يقف وقد غلبه الارتباك الشديد]

ديكى : أظن أنه لم يبق شىء أستطيع أن

أصنعه لك .

المريض : لا ، إ... إ... — أشكرك شكراً جزيلاً .

أنا — ..!.. إنه تفضل كبير منك أن

تتعب نفسك كل هذا التعب. نعم، إ....

ديكى : [يفهم قصده] أوه ... أجرى جنيهان
وشلنان .

المريض : [يحس بفرح لا حد له] أوه ، شكرا جزيلًا.

هذا هو ما أردت السؤال عنه بالذات .
أأكتب لك شيكاً ؟

ديكى : نحن نفضل دائماً أن نتقاضى الأجر نقداً
مخافة أن يكون الشيك زائفاً .

المريض : أوه ، بالطبع . هذا تفضل كبير منك .
حسبت أنك ربما لا تريد الأجر نقداً .

ديكى : إنه لمن العجب أن يضطرب الناس حين
ينقدون الطبيب أجره . ليتكم تعلمون كم
يكون سروره بتسلمه .

المريض : نعم . شكرا جزيلًا .

[يخرج المريض جنهين وشلنين من جيبه ،
ويضعهما مضطرباً على ظهر المدفأة]

ديكى : سحقاً يا رجل . لا تضعهما على ظهر
المدفأة ... إن لكل شيء حداً .

المريض : أوه ، أستمحك عذرا . كم أنا متأسف .

ديكى : نحن نؤثر دائماً وضع الأجر على المكتب .

المريض : أنا لم أعتد استشارة الأطباء في عياداتهم .
ديكى : هذا واضح . وإلاّ لأعطيتني جنهين
فقط ، وقلت إنك لم تجد معك شلنين...
لا سيما إذا كنت امرأة .

المريض : هذا عجيب ؟ إنه لم يخطر ببالى قط .
ديكى : أشكرك . حسناً ، طببت مساء .
المريض : طببت مساء ، وشكراً جزيلاً . إنه يوم
بديع ، أليس كذلك ؟ طببت مساء .

[يسير به ديكى إلى الباب ، ويشيعه للخارج .
وعند الباب يقع نظره على جولايلى]

ديكى : هالوا ! ادخل من فضلك ؟ [ينظر لأعلى
وينادى] بين ، هوذا أبوك الكريم .
[يدخل جولايلى]

جولايلى : كنت على وشك الصعود للقاء بين .
ديكى : تعال اجلس هنا ، ولندخن معا قليلاً .
جولايلى : ألا تتوقع مجئ بعض المرضى ؟
ديكى : أوه ، نحن الآن فى الخامسة ، ولا أعتقد
أن مريضاً آخر سيحضر . ونستطيع أن
نتناول الشاى هنا تحت .

جولايلى : كيف تسير الأمور ؟
ديكى : الحال سيئة . انظر ، جنهان وشلنان يتهمان

هذا كل دخلى هذا المساء .

[تدخل بينيلوبي]

بينيلوبي : حسناً ، يا أبى ؟
جولائتلى : قبلى أباك الكريم يا بنيتى ... أنت ترتدين ثوباً جديداً .

بينيلوبي : إنه يعجبني . ألا يعجبك ؟
ديكى : أهو رداء جديد آخر يا بين ؟ .

بينيلوبي : نعم يا عزيزى . ولم السؤال ؟
ديكى : أوه ، لاشئ .

بينيلوبي : لا بد لزوجتي طيب عصرى أن تنفق قدراً كبيراً من المال على ثيابها .

جولائتلى : كان ديكى يشكو من سوء حالة العمل .
ديكى : ماذا تتوقعون فى مثل هذا الجو اللعين ؟

فاليوم يمر تلوالىوم صحوا جافا بارداً .
ولم نكابد الضباب ولو مرة هذا الحريف ،
وهذا لا يتيح للطبيب أية فرصة . ففى
مثل هذا الجو يكون الناس كلهم بالطبع
أصحاء ، وأحوال الأطباء تزداد سوءاً .
فالمجارى النظيفة متوفرة للجميع اليوم ،
والحكومة المتملقة للشعب تمد الناس بالماء
النقى . ولولا الأدوية الخاصة المسجلة

ومرضى الوهم لهلك نصف أطباء لندن
جوعاً .

پینیلوپ

: لا تقلق بالك يادىكى . فقد يقع حادث
لسيارة أمام بيتنا بالذات فى يوم من الأيام .
: قد يكون حظى بالذات أن يهلك جميع
من يصيبهم الحادث ، لا ، فالدى أريده
حقاً هو انتشار وباء خطير حقاً ، انتشار
نوع من الأنفلونزا المعقدة التى يرقد لها
المريض على ظهره زهاء شهر كامل مثلاً .
: وإذا أصبت أنا بها فرضاً ؟

پینیلوپ

: حسناً ، إذا أصبت بها كان على الرذل
المقيم فى الناحية المقابلة من الشارع أن
يعالجك . ولن يستطيع أن يتقاضى من
زوجة طبيب أجراً . وسيصرف بأسنانه
أسفاً على الوقت الذى اضطر إلى إنفاقه
سدى .

پینیلوپ

: الرذل المقيم فى الجانب المقابل من الشارع
هو الدكتور روجرز . وهو يعجبني أكثر
من ديكى .

ديكى

: إنه حمار متفخ الأوداج .
: إنه له طريقة لطيفة حانية على المريض .

پینیلوپ

ديكى : إنك لم تجربى قط طريقى الحانية [ينظر

إلى يديه] ولكن على أن أذهب وأغسل

يدى ، فهما ملوثتان بحمض (البكريك) .

[يخرج]

پينيلوپى : أين أمى ؟ أهى مشغولة بهداية الوثنيين؟

جولائتلى : نعم ، تهديهم من ألبرت هول ... على

مسافة مأمونة .

پينيلوپى : [يتغير أسلوبها] لقد سرنى أنك جئت وحدك

جولائتلى : أهناك شىء يزعجك ؟

پينيلوپى : [متفجرة] لا أستطيع المضى فى هذا أكثر

مما مضيت ، فقد استنفدت آخر ما أملك
من قوة .

جولائتلى : ألا يزال ديكى ... ؟

پينيلوپى : نعم ، وعبثاً حاولت أن أتصور ما يجده

فيها . فأنا أجلس أحياناً وأرقبها ،

وأتساءل متعجبة عما تتحلى به من

دونى !! إنك لا ترانى قبيحة ، أليس

كذلك ؟

جولائتلى : لا ، قطعاً . وإلا لتركك فى العراء يوم

مولدك كما كان الإسبرطيون القدامى يفعلون

بينيلوبي : كم من رجال يودون أن يصارحوني بأني
خلاية جداً .

جولايثلي : لماذا لا تدعينهم يقولون ذلك ؟
بينيلوبي : يا أبي العزيز ، إنك أشد الآباء الذين
قابلتهم تنكراً لقواعد الأخلاق .

جولايثلي : [مستنكراً بهزة كتف خفيفة] قد تكون هذه
سياسة .

بينيلوبي : [وهي تهز رأسها] لا ، لست أدري إذا
كنت سأتمكن إطلاقاً من استرجاع ديكى
إلى ثانية ، ولكنى لا أريد أن أسترجه
بإثارة غيرته . أنا لا أريد حبه إذا كنت
لا أستطيع الحصول عليه إلا بإيهامه أن
رجالا آخرين يهيمون بي .

جولايثلي : تذكرى أن حاصل جمع واحد وواحد
لا يكون ثلاثة أبداً .

بينيلوبي : [نافذة الصبر] من السهل أن تنصح غيرك .
فما عليك في هذه الحالة إلا أن تجلس
وترقب . أما أنا فعلى أن أعمل شيئاً ...
وأسوأ ما في الأمر أن عمل شيء في هذه
الحالة يعنى عمل لا شيء .

جولايثلي : يا عزيزتى .

پینیلوپ

: والآن لا تتظاهر يا أبى بأنك غير فاهم ،
وإلا قذفت رأسك بشئ ما . ولم يكن
الأمر يسوء إلى هذا الحد لو أنى استطعت
أن أنهض وأعمل . ولكن المطلوب منى
لا يعدو أن أجلس وأتمالك جأشى . إنك
لا تستطيع أن تتصور ما كابדתه خلال
هذا الشهر وأنا محتفظة بوجه باسم .
فقد ضحكت وقلبي يوجعنى ، ومازحت
ديكى وأنا أعلم أنه ذاهب للقاء
أدا فيرجسون ، ورتبت حفلات صغيرة
لأجمع بينهما . ولم أجروا حتى على البكاء
وأنا منفردة خشية أن ترى أدا فيرجسون
احمرار جفوني فتخبر ديكى بذلك .
إنه كان يذهب إليها كل يوم . كان
يلقاها كل يوم ، كل يوم بلا استثناء
خلال الشهر الأخير . وكنت أنا طوال تلك
المدة أبدو جذلة لطيفة مسلية .

جولاي تلى

پینیلوپ

: ولكن كيف يستطيع أن يجد الوقت ؟
: أهمل عمله بالطبع . فكان يرسل مساعدته
لعيادة المرضى الذين كان يجب أن يعودهم
بنفسه . إنك تذكر السيدة ماك ، أليس كذلك ؟

جولاي تلي

پينيلوپي

: [مبتسما] السيدة ماك المزعومة ؟ نعم .
: ليتك تعلم كم كرهت السيدة ماك !
كانت تُجرى لها جراحات بمعدل
جراحة كل أسبوع . ويخرج ديكى فى
سيارته ، ويغيب طول النهار .

جولاي تلي

پينيلوپي

: لا بد أن تكون لها بئنة الحية البواء .
: والمدهش فى الأمر أن جراحاتها تُجرى
دائما فى يوم من أيام سباق الخيل ،
فقد أجريت لها جراحة يوم أقيم سباق
« ديوك أوف يورك » فى كيمبتون ،
وأجريت لها أخرى يوم سباق سيزار ويتش ،
وثالثة يوم سباق ساندوون .

جولاي تلي

پينيلوپي

: ما أغرب هذا .
: لن تستغربه حين تعلم أن أدا فيرجسون
تعشق سباق الخيل . والذي يثيرنى أشد
ثورة هو يقينى من أن «ديكى» يدفع لها
رهانها ، فإذا فاز جوادها استولت على
الربح ، وإذا تخلف لم تدفع الرهان .

جولاي تلي

پينيلوپي

: يخيل إلى أن هذا تصرف دنى جداً . ولكن
ماذا يملك على الظن بأنها تفعل هذا ؟
: أنا نفسى أفعله . . . مسكين ديكى ،

سيكلفه الأمر مبلغاً جسيماً هذا الشهر .

: لماذا ؟

جولايتلى

: لأنه كلما قضى نهاره خارج المنزل اضطررت إلى مواساة نفسى بشراء شئ من الأشياء ، واخترت فى العادة شيئاً غالباً نوعاً ما .

پينيلوپى

: لست أذكر أنى أشرت بهذه النصيحة علاجاً للزوج المتقلب .

جولايتلى

: لا . فأنا أضفتها من نفسى .

پينيلوپى

: ولكن لماذا طلبت حضورى اليوم ؟

جولايتلى

: لأن النهاية حانت . فأنا لم أعد أستطيع الاحتمال بعد الآن . لقد أخبرنى ديكى هذا الصباح أن صحة السيدة ماك تحسنت إلى حد يتيح نقلها إلى مكان آخر ، وأنه سيرحل بها إلى باريس ليعينها على ركوب قطار الريفييرا .

پينيلوپى

: أقصدك أن تقولى إن ...

جولايتلى

: [وهى تهز كتفها فى غضب] ترغب أدا فيرجسون فى رحلة قصيرة إلى باريس .

پينيلوپى

: وماذا تنوين أن تصنعى ؟

جولايتلى

: سأقول له إن عليه اختيار واحدة منا نحن الإثنتين . وسأبذل كل ما أستطيع

پينيلوپى

لأحول دون سفره ... أنا أنوى أن

أخبره بأنه إذا سافر انتهى الأمر بيننا .

: أوه !

جولايتلى

: لا تقل أوه ! بل قل إنى مصيبة كل

پينيلوپى

الصواب . قل إن هذا هو الشيء الوحيد

الذى ينبغى عمله .

: ولكنى أرى أنك مخطئة كل الخطأ .

جولايتلى

: مخطئة !

پينيلوپى

: أنت لا تحسبين أنه يريد السفر معها إلى

جولايتلى

باريس، فما من رجل يحتفظ برشده يقدم

على مثل هذه المجازفة .

: لماذا يعتزم الرحيل إذن ؟

پينيلوپى

: لأنها ترغمه على ذلك . وإذا حدث مرة

جولايتلى

أن امرأة فى مثل هذه الظروف أرغمت

رجلا على فعل ما لا يريد ، فإن هذا

يكون بداية النهاية .

: ومن أين لك العلم بذلك ؟

پينيلوپى

: أنا لا أعلم ذلك ، ولكنى أحزره .

جولايتلى

: يبدو لى أن قضاءك العمر بأكمله فى

پينيلوپى

دراسة الرياضيات أدى إلى إلمامك بعلم

آخر مختلف كل الاختلاف .

جولائتلى : كوني فتاة طيبة يا بن ، ودعيهما يرحلان

[تمر فترة سكوت تستد بينيلوي رأسها بيديها
خلاها ، وتحقق في أيها ، وتفكر في الأمر]

بينيلوي : إنك كنت على حق حين قلت إنى فى

حاجة إلى قدر كبير من اللباقة ، وقدر
كبير من الصبر ، وقدر كبير من ضبط
النفس . يا لله !

: [مبتسما] وبعد ؟

جولائتلى

: لن أفعل شيئاً . سأمسك لساني ، وأبتسم ،
وأحكي الفكاهات والنكات ، ولكن ...

بينيلوي

: نعم ؟

جولائتلى

: إنى فى حاجة ماسة إلى قبعات . سأحدث
« فرانسواز » فى التليفون الآن وأطلب إليها
إرسال كل ما فى دكانها من قبعات
[يدخل ديكى]

بينيلوي

: . كنت أهم بالانصراف .

جولائتلى

: آسف ... ولم هذه العجلة ؟

ديكى

: وعدت زوجتى بأن أصحبها إلى المنزل .

جولائتلى

: لابد أن تعود ثانية . فهذه هى أول مرة

بينيلوي

أفترق فيها عن ديكى منذ زواجنا .

وسأحتاج إلى إخفاء رأسى فى صدر أمى

بينما يربت أبى النبل على يدى .

ديكى : وددت أنك لم تقابلى الأمر بهذا الهدوء

يا بين . فقد يحز ذلك فيك بعض الشيء .

بينلوپي : ولكنى يا عزيزى أعد كل عدة لأصاب

بنوبة إثر نوبة من النوبات المستيرية
الحادة . ولا أستطيع أن أزيد .

ديكى : ويلي ، هذا صحيح .

بينلوپي : [عن قصد معين] أنا أعلم على أية حال

يا ديكى أنه لولا اضطرارك إلى السفر لما
سافرت . فأنت تسافر لشعورك بأن هذا
واجبك ، أليس كذلك ؟

[يتلجلج ديكى نوعاً ما ولكنه لا ينبس . ويقطع
جولايته السكوت الموقت]

جولايته : لماذا تسافر ليلاً ؟

ديكى : [يجد الفرج] أوه ، سيكون الزحام كما

تعلم أقل كثيراً . وهذا أكثر ملاءمة
عند ما ننتقل بمريض .

بينلوپي : [جذلة] ستكون الرحلة مفعمة بالمتعة .

لأنك سترى كل الشبان المرحين الذاهبين
في رحلاتهم القصيرة إلى باريس مصطحبين
حيياتهم . وقيل لى إنهم اعتادوا السفر
ليلاً خشية أن يراهم أحد أثناء رحيلهم .

- جولایتلی : حسنًا ، لا بد لي من الانصراف
وإلا تأخرت ، إلى اللقاء :
- پینیلوپ : لا تَطِيلْ غيبتك عني يا أبي وإلا غلبنى
الانفعال قبل أن تعود .
- جولایتلی : [مومثا برأسه] آمل أن أراك فيما بعد
يا ديكى .
- پینیلوپ : [يخرج . تسير پینیلوپي وكأنها تتبعه]
سأصعد لأتناول الشاي .
- ديكى : [بشيء من الجفوة] أريد أن أقول لك بضع
كلمات يا بين .
- پینیلوپ : اصعد معي إلى غرفة الاستقبال إذن .
- ديكى : أفضل أن أحادثك هنا .
- پینیلوپ : [تجلس] حسنًا جداً . تكلم .
- ديكى : يمكنك أن تطلبي الشاي إذا شئت .
- پینیلوپ : لا ، لن أتناوله ، وليعتل هضمي .
- ديكى : [يخرج أوراقاً من جيبه ويناولها لپینیلوپي]
أتعرفين ما هذه الأوراق ؟
- پینیلوپ : [بابتسامة عذبة] أهي .. فواتير ، يا عزيزي ؟
- ديكى : أستطيع أن أرى أنها فواتير ، شكراً لك !
- پینیلوپ : [تلوح في الهواء بإحدى الفواتير] هذه
خاصة بالثوب الذي أرتديه . أترى أنه

لا يساوى هذا الثمن الغالى ؟ أترى ذلك ؟

[تنظر إلى الثوب] هذا الثمن يشتمل على

أجرة التفصيل كما تعلم .

ديكى

: [يحاول الاحتفاظ بهوته] وماذا تنتظرين

منى أن أفعل بهذه الفواتير ؟

پينيلوپي

: [بلا اكترات] يمكنك أن تلقى بها فى سلة

المهمات إذا شئت . ولكنك تختصر

الطريق إذا سددتها .

ديكى

: [يشور غضباً] اسمعى يا بين . هذا غير

معقول إطلاقاً . أنت تعلمين أنى لن

أحتمل مثل هذا التصرف .

پينيلوپي

: [تظهر عليها دهشة شديدة ، وتقول ملاطفة]

إنك لن تثير يا عزيزى ضجة لأنى

اشتريت لنفسى بعض الحاجيات القليلة

البسيطة . إن ثيابى فى الواقع أصبحت

خرقاً بالية ، وقد حسبت أنك تسر أن

ترانى فى هندام حسن .

ديكى

: سحقتاً لكل شىء . إنى رجل فقير ، وقد

أنفقت ما يزيد على مائة وخمسين جنياً

فى هذا الشهر وحده .

پينيلوپي

: [فى هدوء] أبلغ ما أنفقته هذا الحد ؟ من

حسن الحظ أنك وجدت مثل هذه العميلة
الطيبة السيدة ماك ، أليس كذلك ؟

[ينظر إليها نظرة ارتياب ، ولكي يتخلص
من حكاية السيدة ماك ، يتفجر غاضباً]

ديكى : أنا أسمى ذلك إسرافاً طائشاً . والآن
انظرى ... هنا خمسة وثلاثون جنيتها ثمن
ثوب أزرق اللون اشتريته فى التاسع من
أكتوبر - ثمن غير معقول .

بينيلوپى : يوم سباق « ديوك أوف يورك » فى
كيمبتون .

ديكى : ماذا تقصدين بسباق « ديوك أوف يورك »
فى كيمبتون ؟

بينيلوپى : تذكرت من توى أن السباق جرى فى نفس
اليوم نفسه ، لأن مدام « كلود » دهشت إذ
رأتى يومذاك . وكان من المصادفة البحتة
أنها لم تذهب إلى السباق هى أيضاً .

ديكى : ولكن أى شئ أوحى إليك أن تذهبي
وتشترى ثوباً أزرق ؟

بينيلوپى : [فى رقة بالغة] حسناً . كان ذلك اليوم كما

تعلم يا عزيزى يوم إجراء أول جراحة
للسيدة ماك . وكنت أنت متغيباً طوال

اليوم فشعرت بكآبة. ووحدة ممضتين .
ولم يغب عني ما كنت تعانيه من قلق ،
فأقلقتني ذلك أيضاً . وعلى ذلك ذهبت من
توى وطلبت حياة ثوب أزرق لأسري
عن نفسي قليلا .

[ينظر ديكى إليها هنيهة ، ثم يهبط ببصره إلى
القاتورة ، ويوشك أن يتكلم ، ولكنه لا ينطق
شيئاً . وتلاحظه بينيلوبي]

ديكى : [فجأة] ثم هذا أيضاً ، قفاز وكاب من
« الارمين » فى يوم ١٣ أكتوبر .

بينيلوبي : نعم هذا يوم إجراء الجراحة الثانية للسيدة
ماك المسكينة .

ديكى : الحق إن المسألة فى رأي تجاوزت الحد
بعض الشيء .

بينيلوبي : حسناً ، كان لا بد أن أصنع شيئاً أثناء

غيابك . وقد رأيت الجميع يتوجهون فى
عرباتهم إلى شارع « ليفربول » حاملين
منظار السباق المعظم فشعرت بتعاسة شديدة .

ديكى : معذرة ، فأنا لم أفهم قصدك .

بينيلوبي : إن يوم ١٣ من أكتوبر كان كما تعلم

يوم سباق سيزار ويتش .

ديكى : وأظنك ستتبعين الطريقة نفسها لتبرير

سائر «الفواتير» [ينظر في فاتورة] يوم ٢٢
أكتوبر .

: سباق ساندوون [يجول ديكى ببصره في «الفاتورة»
غاضباً ، ولكنه لا يقول شيئاً] إني أعجب
لماذا كنت تحدد لجراحاتك دائماً اليوم
الذى يجرى فيه سباق هام !
: أظنك ترين ذلك غريباً ؟

پينيلوپي

ديكى

پينيلوپي

ديكى

: بعض الغرابة .
: حسناً ، ليس الأمر غريباً قط ، إنها طريقة
من طرق صديقى العجوز « پيتر مارزدين »
الشاذة . لقد قلت لك إن « پيتر مارزدين »
هو الذى أجرى تلك الجراحات ، أليس
كذلك ؟ [تومئ پينيلوپي برأسها] فالواقع
أنه مجنون تماماً بالسباق . وقد
أضاع عليه مبلغاً جسيماً من المال إلى حد
أنه صار يختار لإجراء كل جراحة هامة
نفس اليوم المحدد للسباق ، وذلك ليستحيل
عليه حضور حفل السباق كل الاستحالة .

: عجوز مضحك [ينظر إليها ديكى مرتاباً ،
فتقول بضحكة] أقصد « پيتر مارزدين » ،
لا أنت يا عزيزى .

پينيلوپي

- ديكى : والآن اسمعى يا بين . كفى حديثاً عن تلك الفواتير . وسأسدد مبالغها هذه المرة...
- بينلوپ : كنت أعلم أنك ستفعل .
- ديكى : ولكن يجب ألا تستجد فواتير أخرى .
- بينلوپ : لست أدري حقاً لماذا تثير كل هذه الضجة ، مع أنك كنت تحصل من السيدة ماك على أكوام وأكوام من المال .
- ديكى : ينبغي ألا نعد كناكيتنا قبل أن يفرخ البيض ، فأنا لم أحصل منها على ملهم واحد بعد .
- بينلوپ : أما وهى ترمع الرحيل الآن فتستطيع أن ترسل إليها قائمة حسابك .
- ديكى : أوه ، لا إخال أنى أستطيع ذلك . فقد يقتلها هذا .
- بينلوپ : ألا تظن أنه يمكنك المجازفة ؟
- ديكى : أعتقد يا بين أنك قاسية جداً . فأنت تنسين أننى شديد التعلق بتلك السيدة . فإنى أعدها صديقة كما أعدها عميلة .
- بينلوپ : لعلها توصى لك بشيء بعد موتها ، فنحن فى حاجة إلى سيارة كهربية ، أليس كذلك ؟
- ديكى : أوه ، لن أقبل هذا . فأنا أمقت أن يحصل

الأطباء على تركات من عملاتهم ؟

: حسناً ، يمكنك أن تطالبها بمائة وخمسين
جنياً على الأقل لسفرك بها إلى باريس .

: [في فرع] بين !

: أوه ! لقد أفرعتني .

: أنت لا تتوين شراء أشياء أخرى ؟

: حسناً يا عزيزي : أنا أعلم أنني عندما
أستيقظ صباح غد ولا أجذك هنا ،

سينتابني شعور أليم بالوحدة والضيق .

: [مقاطعاً] اطلبي من أمك التقية أن تقيم
معك .

: وقد خطر لي أنني ، بكل بساطة ،
لا أملك قبعة أستطيع ارتداؤها .

: [عابساً] بينيلوبي .

: [محاولة إقناعه] لو أن لي بعض القبعات

الجميلة لأعان ذلك على أن تعيش أثوابي
مدة أطول ، إذ يكفي أن تبدل المرأة قبعتها
كما تعلم ليظن الناس أنها ترتدي ثوباً
جديداً .

: وهل أتجاسر فأسأل كم قبعة تحتاجين إليها
للتغلب على ضيقك ؟

- بينيلوبي : (مسة) ثلاث .
- ديكى : أنا لم أسمع فى حياتى بمثل هذا السخف .
- بينيلوبي : اسمع ياديكى . أنا أريد أن ألتقى بك فى منتصف الطريق، ولذا أعدك ألا يزيد ثمن القبة الواحدة على خمسة جنيهات .
- ويمكنك أن تعطينى هذا المبلغ من الجنيهات المائة والخمسين .
- ديكى : الواقع يابن أن السيدة ماك صديقة أكثر مما هى عميلة ، وحالتها المالية ليست حسنة كما ظننت، وأنا أنوى ألا أطلبها بأجر على مرافقتى لها إلى باريس .
- بينيلوبي : (فى حزم شديد) أوه ، لا ياديكى . أنا لا أوافق أبدا ، فإن لديك زوجة يجب أن تفكر فيها . إنك إن تمت غداً تتركنى معوزة . وليس من حقلك أن تغلو فى شهامتك ، . ففى هذا ظلم لى .
- [تدخل بيتون بينما يوشك ديكى أن يتكلم]
- بيتون : هناك سيدة تريد أن تلتاك يا سيدى .
- ديكى : [منظاً] فى هذه الساعة ؟
- بيتون : إنها السيدة واطسون يا سيدى .
- ديكى : أوه ، نعم ، نعم ، أدخلها . [تخرج بيتون]

ديكى : شكراً لله ، فقد جاء عميل وسأحصل
على بضعة جنيهات أيا كانت
الحال . [ينظر في مفكرته] أربع
زيارات . سيكون مجموع الأجر خمسة
جنيهات وخمسة شلنات . والله إنى لفى
حاجة إليها .

بينيلوپي : ما بها ؟
ديكى : لا أدري . بيد أنى أتظاهر أنى أعرف
علتها . وأغلب الظن أنها لن تلاحظ على
ذلك .

بينيلوپي : سأتركك . فلا بد لى من مخاطبة بعضهم
« تليفونياً » .

[تخرج ، ويروح ديكى ويغدو مغيظاً . وتدخل
السيدة واطسون فيتخذ سيما مهنته ، ويغدو لطيفاً
مجاملاً للغاية . والسيدة واطسون عجوز قصيرة
ترتدى ثوباً أسود]

ديكى : حسناً يا سيدة واطسون ؟
السيدة واطسون : أرجو ألا يضايقك أنى جئت فى هذه
الساعة المتأخرة . فأنا أعلم أنك لا تستقبل
أحداً بعد الخامسة ، ولكنى راحلة .

ديكى : يسرنى أن أراك . أوكد لك ذلك .

السيدة واطسون : سأسافر غداً إلى الريفييرا مع ابنتى ..
وقد رأيت أن أزورك مرة أخرى قبل
سفرى .

ديكى : بالطبع . وكيف تقدمت حالك ؟

السيدة واطسون : [راضية كل الرضا] أوه ، إن حالى
لا تتقدم . فأنا لا أتحسن أبداً .

ديكى : أكنت تتناولين الدواء بانتظام ؟

السيدة واطسون : [بسرور] نعم . ولكنه لم يفدنى قليلاً .

ديكى : دعينا نفحص رجفة ركبتك ، هل
تسمحين ؟

[تضع السيدة واطسون رجلا على رجل ، ينقر
ديكى أسفل ركبتيها ، فترتجف رجلها ارتجافاً
خفيفاً]

ديكى : لا بأس .

السيدة واطسون : لقد جرّبت معى السير بنيامين برودستيرز
كل دواء ، ولكنه لم يتمكن من شفائى .
وتوجهت بعد ذلك إلى السير وليم ويلسون ،
فأشار علىّ أن أمتنع عن اتباع أى شىء
مما أشار به السير بنيامين برودستيرز .
فساءت حالى أكثر .

ديكى : أنت تبدين مبهجة ابتهاجاً غير مألوف .

السيدة واطسون : إني ترددت على كل طبيب فى لندن .

وقد أجمع الأطباء على أن حالتى غريبة .

وأنا أحب أن يفحصنى الأطباء ، وهم

يهتمون بى كل الاهتمام . . . وكم من

ساعات وساعات أنفقوها فى فحصى .

ولن أستطيع بحال أن أوفيهم حق العرفان

بالجميل على ما غمرونى به من رعاية .

ديكى : جميل منك أن تقولى هذا ، وأظننى

سأجرب معك اليوم دواء جديداً .

السيدة واطسون : أوه ، اجعله لطيفاً وقوياً ، أتفعل ذلك

يا دكتور ؟

ديكى : يبدو أنك تؤثرين أن يكون دواؤك

غنياً بالمواد :

السيدة واطسون : أنا أحب تناول الأدوية ، فذلك نوع من

العمل يشغلى . وأنا أعانى الوحدة الآن

بعد أن تزوجت ابنتى . ويبدو لى أنى تناولت

جميع أنواع الأدوية الموجودة

بالصيدليات ، ولكن أحداً منها لم يعد

على "بأى نفع" .

ديكى : [يتناولها تذكرة الدواء] حسناً . لعل هذا

ينفعك ، وعليك تناوله ثلاث مرات
يومياً قبل كل وجبة .

السيدة واطسون : [تنظر في التذكرة] أوه ، ولكنى جربت
هذا الدواء من قبل يا دكتور أوفاريل ،
فقد وصفه لي سير آرثر توماس منذ
بضعة أشهر .

ديكى : حسناً . جريبه مرة ثانية . فلعلك لم تتيحي
له فرصة كافية ليحدث أثره .

السيدة واطسون : قرأت في مجلة «لانسيت» منذ أيام أن طبيباً
ألمانياً وجد دواء جديداً يفيد حالات
الأعصاب فائدة كبيرة . وأنا واثقة من
أن هذا بالذات هو الدواء الذى
أحتاج إليه .

ديكى : وأى داع يدعوك إلى قراءة مجلة لانسيت؟
السيدة واطسون : أوه أنا أقرأ دائماً كلا من مجلة لانسيت
والمجلة الطبية البريطانية ، فقد كان لابد
لزوجى المسكين من الاشتراك فيهما
لحاجته إليهما فى مزاولة عمله .

ديكى : (فاغراً فـه) أتعنين أن زوجك كان طبيباً؟
السيدة واطسون : أوه ، حسبتنى أخبرتك أنى أرملة طبيب
[يحاول ديكى أن يتغلب على اضطرابه بينما
تواصل السيدة واطسون ثرثرتها]

السيدة واطسون : أنا لا أستطيع أن أحتمل قط كلمة سوء
تقال عن الأطباء . فهم لم ينفعوني بطبهم
ولكنهم كانوا غاية في اللطف معي . ولم
ألق معاملة فظة لإمرة واحدة وقد أقدم عليها
طيبب نكرة - إن كنت تصدقني - شرحت
له أعراض مرضي كلها ، فسألني قائلاً :
أتقبلين على الطعام ياسيدتي ؟ وأجبتة
نعم ، فأنا أتناول وجبة إفطاري صباحاً
ثم قليلاً من الحساء في الساعة الحادية
عشرة وأتناول وجبة الغداء ، وفي العصر
أتناول دائماً شايًا دسماً ، وفي منتصف
الساعة الثامنة أتناول عشاء خفيفاً ، ثم
أتناول لبنا مع قليل من الحبز قبل رقادى .
وعاد يسألني : أتستطيعين النوم ياسيدتي ؟
فقلت نعم ، أنا أنام جيداً بالنسبة لسنى المتقدمة ،
وأنام بانتظام مدة ثمانى ساعات أو تسع
ساعات يومياً . ثم سألني : أتستطيعين
المشى ياسيدتي ؟ فأجبتة : أوه ، نعم ،
فقد وضعت لنفسى قاعدة لا أحيد عنها
هى أن أقطع أربعة أميال يومياً سيراً
على قدمي . فقال بعدئذ : أرى أنك
لاتعانين شيئاً قط . طبت مساء .

ديكى : تصوّرى ذلك .

السيدة واطسون : حسناً لم يكن منى إلا أن نظرت إليه من أعلى إلى أسفل ، ثم قلت له : ياسيدى ، رأيك هذا لا يشاركك فيه سير بنيامين برودستيرز ، أوسيروليم ويلسون ، أو سير آرثر توماس ، ولم أقدم له حتى أجر الكشف الطبى ، واكتفيت بأن انسحبت من الغرفة مرفوعة الرأس .

[بنحث] ألن تعطينى تذكرة الدواء الجديد ؟
ديكى : أصدقك القول إنى لا أعتقد أن هذا الدواء هو الذى تحتاجين إليه بالذات .

السيدة واطسون : حسناً جداً . أظن أنك أدرى منى بذلك .
والآن ينبغى على ألا أشغل قدراً آخر من وقتك .

ديكى : [ساخراً] أوه ، وقتى لقيمة له . أشكرك
السيدة واطسون : [محاولة حملة على الجواب] أسمح أن تخبرنى عن المبلغ الذى أنا مدينة لك به ؟

ديكى : آه ، بما أنك أرمل طيب فلا يخطر لى بالطبع أن أقبل منك أجراً .

السيدة واطسون : هذا تفضل منك . ولكن يجب أن تسمح لى بإعطائك هدية صغيرة .

ديكى : [يضعف نوعاً ما ، ولكن وجهه يشرق قليلا]
أوه حقاً ، المسألة . . .

السيدة واطسون : لقد ذهبت إلى كل طبيب ذى شأن فى
لندن ، ولم يظالبنى واحد منهم بمليم واحد
أجراً ، ولكنى اعتدت أن أقدم لكل
منهم هدية صغيرة . وأنا لا أجهل أن
عليكم معشر الأطباء أن تخرجوا وتتعرضوا
لمختلف الأجواء دون أن تتدثروا أبداً .
ولذا كنت أهدي كلا منهم لفاعاً من
الصوف .

[تخرج من حقيبتها لفاعاً صوفياً أحمر اللون كبيراً]
ديكى : [ساهماً] أوه ، شكراً جزيلاً .

السيدة واطسون : صنعت هذا اللفاع بنفسى .

ديكى : صحيح ؟

السيدة واطسون : ووعدتنى سير بنيامين أن يرتدى لفاعه
كل شتاء . ستجده مدفئاً جداً .

ديكى : أنا مقدر لجميلك كل التقدير .

السيدة واطسون : والآن وداعاً ، وأشكرك شكراً جزيلاً .

ديكى : خير ما تصنعين بعد عودتك من الريقيرا

أن تستشيرى الدكتور روجز ، وهو يقطن
فى الطرف الآخر من الشارع كما تعلمين .

إنه خير من يستشار في حالات كحالتك .

السيدة واطسون : شكراً جزيلاً .

ديكى : طبت مساء .

[تخرج ويفلق الباب ورامها ، ويعدو إلى

الباب الآخر وينادى صائحاً]

ديكى : بين ! بين !

صوت بينيلوبي : نعم .

[طرق على الباب]

ديكى : [متضايقاً] ادخل .

[تدخل السيدة واطسون]

السيدة واطسون : كنت أعلم أن هناك أمراً أريد أن

أسألك عنه بالذات ، ولكنى كدت

أنساه . حضر على سير بنيامين برود

ستيرز أن آكل شيئاً غير قطع الخبز

«المقمر» ، ولكن سير وليم ويلسون

لا يعتقد أن الخبز المقمر يفيدنى بحال ،

وأن على أن آكل الخبز العادى وحده ،

فأى القولين أتبع ؟

ديكى : [جاداً كأنه يناقش زملاءه فى استشارة] حسناً ،

لو كنت مكانك لأكلت الخبز مقمراً من

ناحية واحدة فقط .

السيدة واطسون : شكراً جزيلاً . وداعاً . آمل أن يروقك
اللفاع .

ديكى : لا شك فى ذلك . طبت مساء .

[تخرج ثانية ، ويفلق ديكى الباب وراءها]

ديكى : بين ! بين !

[تدخل بينيلوپى من الباب الآخر]

بينيلوپى : ما الأمر ؟

[يتجه إليها ديكى حائقاً واللفاع فى يده]

ديكى : انظرى ! هذا هو أجرى ! هذا !

بينيلوپى : إنه لفاع من الصوف .

ديكى : لا تكونى بلهاء يا بينيلوپى ، فأنا أستطيع

أن أرى أنه لفاع فى الصوف .

بينيلوپى : ولكن ، ما معنى هذا ؟

ديكى : إنها أرملة طيب ، فلم أستطع بالطبع

أن أطلب أجراً . وقد أخفت عنى ذلك

إلى اليوم ... أقول لك شيئاً .. يجب

ألا يسمح لأرامل الأطباء أن يعيشوا

بعد موت أزواجهم .

بينيلوپى : أوه !

ديكى : عند ما تصبحين أرملة بعد موتى يا بين ،

اقطعى شارع « هارلى » ذهاباً من أحد

جانبيه ، ثم إياباً من جانبه الآخر ،
واطلبى إلى جميع أطباء الشارع أن
يفحصوك .

بينيلوبي : ولكن لنفرض أنى غير مريضة ؟
ديكى : سحراً . فأقل ما تستطيعين إذا فقدتني أن
تستمتعى بصحة معتلة .

[تدخل بيتون]

بيتون : معذرة يا سيدى . تسألك السيدة واطسون
إن كانت تستطيع لقاءك لمدة دقيقة واحدة .
ديكى : [مستسلما] نعم .

[تخرج بيتون]

ديكى : ترى ماذا تريد الآن ؟

[بيتون تقود السيدة واطسون إلى الغرفة]

السيدة واطسون : قد تظن أنك لن تفرغ منى أبداً .
ديكى : [بلطف] لا ، أبداً .. لا ، أبداً .

السيدة واطسون : كنت أفكر فيما قلته عن تقمير الحبر
من ناحية واحدة . . . ففى أية ناحية
أضع الزبد ؟

ديكى : [واضعاً ذقنه فى يده] هيم م م . يجب أن
تضعى الزبد فوق الناحية المقمرة .

السيدة واطسون : أوه ، شكراً . والآن لم يبق غير سؤال

واحد فقط . أنتظن أن قليلا من المربى
يضرُّ بى ؟

ديكى : لا . لا أظن أن قليلا من المربى يضر بك .
ولكن عليك ألا تضعها فوق الناحية
التي تضعين فوقها الزبد .

السيدة واطسون : أوه ، أشكرك ، طبت مساء ، أنا شاكرة
جداً .

ديكى : عفواً ، عفواً .

(تخرج السيدة واطسون)

ديكى : (يهرق قبضته متوعداً وراء الباب) لميتك دفنت
حية مع زوجك . . . « ستى » (*) حرق
الأرملة عند موت زوجها . . . هذه هي
الكلمة بالضبط .

بينيلوبي : ديكى ، ما هذا الذى تقوله ؟

ديكى : ظللت أفكر فى هذه الكلمة مدة عشر
دقائق . هذا ما يجب على أرامل الأطباء
أن يفعلنه « ستى » كما يفعل نساء
الهنود .

بينيلوبي : أبحرقن أجسادهن أحياء عند موت
أزواجهن ؟

Suttee (*)

ديكى
پينيلوپي : أصبت « ستي » . هذه هي الكلمة .
: ولكنى أكره أن أجمل جنازتك

ديكى
يا عزيزى يجعل جثتى شعلة للزينة .
: أوه . أنت لا تحبينى .

پينيلوپي : أحبك كثيراً . ولكنك تطلب منى الشئ
الكثير ، أليس كذلك ؟

ديكى : لا ، فأنت لا تهتمين بى اليوم كما اعتدت
أن تهتمى بى من قبل . لقد تغيرت تماماً .
وقد لاحظت أشياء كثيرة ...

پينيلوپي : [ترمقه بنظرة سريعة ، ولكنها تظل محتفظة
بدعابتها] أوه ، هراء .

ديكى : لقد تغيرت فى المدة الأخيرة . فأنت

لا تنزلين لتوديعى عند خروجى صباحاً ،
ولا تسألينى عن موعد رجوعى ، وكانت
عادتك أن تجلسى بعد الإفطار على مسند
مقعدى وأنا أدخن غليونى ، وأقرأ صحيفتى .

پينيلوٲي : لا بد أنك كرهت ذلك منى . أليس هذا
صحيحاً ؟

ديكى : طبعاً كرهته ، ولكنه كان يدل على أنك
كنت مغرمة بى . فلما أمسكت عنه
أحسست أنى أفقده .

[تدخل پيتون أمام السيدة فيرجسون ، ثم تنسحب]

پيتون : السيدة فيرجسون .

[ديكى يحفل قليلا ، وتبدو عليه أمارات غيظ
طفيفة ، فهو لا يستطيع أن يدرك سبب مجيء
السيدة فيرجسون]

السيدة فيرجسون : أخبرتنى الخادم أنكما هنا ، فطلبت إليها
أن تقودنى إليكما مباشرة ، وأرجو ألا
يضايكما ذلك .

بينيلوبي : لا ، بالطبع فنحن يسرنا أن نراك فى أى
مكان ، أترغبين فى قدح من الشاي ؟

السيدة فيرجسون : لا ، شكراً . فقد جئت فى الواقع
لأستشير الدكتور أوفاريل بوصفه طبيباً .

بينيلوبي : أرجو ألا تكونى مريضة ؟

السيدة فيرجسون : شعرت فى المدة الأخيرة بأنى لست
بصحة جيدة ، وخطر لى أن أعرض
نفسى على طبيب . [إلى ديكى] هل لك
أن تتولى علاجى ؟

ديكى : سأبذل لك ما أستطيع .

السيدة فيرجسون : ولكن الزيارة لابد أن تكون زيارة عمل .
فأنا أريد أن أدفع عنها أجرا .

بينيلوبي : أوه ، هراء . فلا يخطر ببال ديكى أن
يقبل مالا من إحدى صديقتى .

السيدة فيرجسون : لا . فأنا شديدة التمسك بمبادئى فى هذه
المسألة . وفى ظنى أنه قبيح بالناس أن
يطلبوا إلى الطبيب علاجهم بدون مقابل .

أنا أصر حقاً على دفع الأجر المعتاد .

ديكى : أوه ، حسنا . سنناقش ذلك فيما بعد

بينيلوبي : سأترككما وحدكما ، أليس كذلك ؟

السيدة فيرجسون : أسمحين بذلك يا عزيزتى ؟ فأنا أشعر

بشئ من المضايقة إذا ناقشت أعراض

مرضى أمام شخص ثالث .

بينيلوبي : بالطبع :

السيدة فيرجسون : لن يستغرق الأمر غير خمس دقائق .

بينيلوبي : حذار من أدوية ديكى فهي كريهة جدا .

(تخرج)

ديكى : يوسفنى أنك موعوكة . لقد كنت أمس

بخير .

السيدة فيرجسون : (ضاحكة) أنا أوفر صحة منى فى أى

وقت مضى ، أشكرك (ديكى يؤخذ بعض الشيء)

هذه ميزة كونك طبيباً . فمتى أردت أن

أنفرد بك استطعت ذلك تحت أنف

زوجتك . ألا ترى فى ذلك شيئاً من البراعة

منى ؟

ديكى : (بحفااء) براعة فائقة [تضحك ضحكة

قصيرة وتقوم وتخطو فى حذر إلى الباب وتفتحه على

غرة] بربك ماذا تصنعين ؟

السيدة فيرجسون : أردت أن أرى ما إذا كانت بينيلوبي تتسمع .

ديكى : (بشيء من الخدمة) إنها لم تكن تتسمع بالطبع ،
فهذا آخر شيء تصنعه . .

السيدة فيرجسون : أوه ، يا عزيزى ، لا يخرجك ذلك عن
طورك . فكم من امرأة تتسمع كما تعلم .
ديكى : أيفعلن ذلك ؟ أنا لم أسعد بلقائهن .

السيدة فيرجسون : هراء .

ديكى : وبعد ، أتخبرينى عن الخدمة التى أستطيع
أن أؤديها لك ؟

السيدة فيرجسون : [مداعبة] لن أقول شيئاً قطعاً : مادمت
تخاطبنى بمثل هذه اللهجة الجافية ...
تستطيع تقبيل يدى (يقبل يدها) هذا
حسن . ألا تزال غاضباً ؟

ديكى : لا

السيدة فيرجسون : أتحنى كعهدك دائماً ؟

ديكى : نعم .

السيدة فيرجسون : لو أنك كفت عن حى أكنت تصارحنى
بذلك ؟

ديكى : لا .

السيدة فيرجسون : يالك من وحش !

ديكى : (فى شيء من الضجر) خبرينى ، أى شيء فى
الوجود حملك على المحبى ؟

السيدة فيرجسون : أنت لطيف حقاً في معاملتي اليوم .

ديكى : حسناً ، إننا رتبنا كل شيء عندما

فارقتك أمس ، وقد أعطيتك تذكرة

السفر ، وكتبت لك ميعاد قيام القطار .

السيدة فيرجسون : حسناً . أولاً أردت أن أرى بينيلوبي .

ديكى : لماذا ؟

السيدة فيرجسون : يروح غنى أن أرى سذاجتها . إنى أشعر

بالجذل الشديد عندما أنظر إليها وأرى

كيف أنها لا تشك فتيلاً فيما يجرى تحت

أنفها . إنها أشد من عرفتهم فى حياتى

حسن ظن

ديكى : إذا أردت رأيي فاعلمى أن هذا يشعرنى

بضيق فظيع .

السيدة فيرجسون : عم تتحدث يا ولدى العزيز المسكين ؟

ديكى : لم يكن الأمر يسوءنى لو أننا اضطربنا

لانتخاذ أى احتياط . ولكنها تثق فىنا ثقة

عمياء ، بل إنها لتعيننا دائماً على الاجتماع ،

ولا يخطر ببالها قط أن هناك أقل سبب

لإساءة الظن . فكأننا الآن نصرع رجلاً

لا يستطيع الدفاع عن نفسه .

السيدة فيرجسون : أهذا يعنى أنك لم تعد تحببى ؟

ديكى : أنا أحبك بالطبع . يا الله ! لقد كررت لك ذلك حتى احتقن وجهى .

السيدة فيرجسون : أوه ، لا . أنت لم تعد تحبى ، فالرجال لا تبدأ وساوسهم إلا بعد زوال حبهن للمرأة (تصدر من ديكى آهة استسلام ، وهذه المشادة ليست الأولى التى اضطر إلى احتياها) إني ضحييت فى سبيلك بكل شئ ، وهأنذا تهيننى اليوم . وعند ما أفكر فى زوجى المسكين الذى يخدم وطنه بشجاعة فى بلد غريب ! .. آه ، إنها لقسوة ، قسوة !

ديكى : ولكنى لم أقل إلا أن سوء معاملتى ليينيلوپى أشعرنى بالخسة .

السيدة فيرجسون : ولكنك لا تفكر فى شعورى . لا يخطر لك كيف أشعر أنا . وماذا تقول فى زوجى ؟

ديكى : حسناً ، لم يحدث أنى عرفت زوجك . أما زوجتى فإنى أعرفها فعلاً .

السيدة فيرجسون : لا تكن أحمق . فما من شك أنك تعرف زوجتك .

ديكى : وهذا ما يجعلنى أكره أن أسلك معها سلوك رجل سافل دنى .

السيدة فيرجسون : لو أنك أحببتنى حقاً لما فكرت فى أى

شيء ، أي شيء ، أي شيء غيري .

[تضع منديلها على عينيها]

ديكى : أوه ، اسمعى . لا تبكى .

السيدة فيرجسون : بل سأبكى . أنا لم أعامل مثل هذه المعاملة

من قبل . وإذا كنت لم تعد تحبى فلماذا

لا تصارحنى بذلك ؟

ديكى : نعم ، أنا أحبك . ولكن ...

السيدة فيرجسون : لكن ماذا ؟

ديكى : [بعصبية] حسناً — إرر — أظن أنه يحسن

بنا أن نؤجل رحلتنا إلى باريس بعض

الوقت .

السيدة فيرجسون : [تلهث غضباً] أوه ! أوه ! أوه !

ديكى : بينيلوبي تثق ثقة عمياء .

السيدة فيرجسون : لن أكلملك بعد الآن . وددت لو أنى

لم أقابلك قط . أوه ، كيف تستطيع أن

تهيننى هذه الإهانة ! .

[تأخذ فى النشيج]

ديكى : أوه يا إلهى ! أوه يا إلهى ! قلت لك

لا تبكى . أنا لم أقصد الإساءة إليك .

أنا آسف أشد الأسف .

[يحاول أن يبعد يدها عن وجهها] .

السيدة فيرجسون : لا تمنى . لا تقرب منى .

ديكى : سأفعل كل ما تريدن إذا أمسكت عن

البكاء . فكري فيما يكون إذا دخلت
علينا بينلوي . وأنا لم أكن أهتم إلا بما قد
يصيبك من هذه المحازفة . وليس هناك
بالطبع شيء أتوق إليه مثل رحلة نقوم
بها عبر القنال .

السيدة فيرجسون : أهذا صحيح ؟

ديكى : نعم .

السيدة فيرجسون : أتريد أن آتي معك حقاً ؟

ديكى : أريد ذلك دون شك فيما إذا كنتِ

لا تبالين عقي المحازفة .

السيدة فيرجسون : [بابتسامة] أوه ، سأدبر ذلك خير تدبير .

ديكى : لماذا ؟ ماذا ستفعلن ؟

السيدة فيرجسون : انتظر دقيقة أو اثنتين ، وسترى .

[تستعيد هدومها كاملاً ، وترجع إليها بشاشتها]

ديكى : نستطيع أن نخبر بينلوي بأننا على استعداد

لمحيثها .

بينلوي : لا بأس . [وبينما يتجه ديكى إلى الباب]

أوه ، نسيت كلية . إن لي رأساً كالغربال
تماماً .

ديكى : ما الأمر ؟

السيدة فيرجسون : حسنا . كدت أنسى الأمر الذى أتيت لأقابلك من أجله بالذات . ولكنك شغلت الوقت كله بالاشتباك معى فى شجار .

ديكى : أنا اشتبكت فى شجار ؟ لم أتنبه لذلك .
السيدة فيرجسون : أريد أن أطلب إليك شيئاً فهل يغضبك ذلك ؟

ديكى لا أظن ذلك .
السيدة فيرجسون : بالطبع ليس الأمر ذا بال ، ولكن طلبه مخرج بعض الشيء .

ديكى : أوه ، هراء ، لاشك أنى سأعمل ما أستطيع .
السيدة فيرجسون : حسنا . لى صديق فى سوق الأوراق المالية أشار علىّ بنصيحة مدهشة ، و ...

ديكى ولم تثمر النصيحة . إنى أعرف هذه النصائح المدهشة .

السيدة فيرجسون : أوه ، ولكنها لا بد ستعود بالربح . غير أن فروقاً طرأت على السعر يجب سداده ، وأنا لا أفهم كل هذه المسألة بالضبط ولكن « سولى أبراهام » ...

ديكى : [يقطعها] أهذا هو صديقك الذى يعمل فى سوق الأوراق المالية ؟

السيدة فيرجسون: نعم . ولم السؤال ؟

ديكى : أوه ، لا شيء . اسم اسكوتلاندى قديم طيب . هذ كل ما فى الأمر .

السيدة فيرجسون : يقول سولى إن علىّ أن أرسل له شيكا بمبلغ مائة وثمانين جنيتها

[يحفل ديكى قليلا ويبتس]

السيدة فيرجسون : وكل ما فى الأمر أنه يصعب علىّ قليلا

أن أدفع هذا المبلغ فى الوقت الحاضر ، فدخلى يُدفع لى كل لى ستة أشهر كما تعلم ، وليس لى فى الواقع رصيد فى البنك بمبلغ مائة وخمسين جنيتها ، وأنا لا أقترض مالا أبداً — فهذا شىء لا أحتمله — وقد شعرت بأن الشخص الوحيد الذى أستطيع أن أُلجأ إليه الآن هو أنت .

ديكى : لا ريب أن هذا ظريف منك للغاية ، بل إطراء لى .

السيدة فيرجسون : كنت أعلم أنك ستعطينى المبلغ على الفور ، وسأسدده لك بالطبع من أرباحى .

ديكى : آه ، هذا ظريف منك للغاية ، وسأرى ما أستطيع صنعه .

السيدة فيرجسون : أو سبب لك مضايقة شديدة إذا سألتك

أن تكتب لى الشيك الآن ؟ فهذا يزيح
عنى عبثاً يشغل بالى .

ديكى : بالطبع ، وهذا يسرنى سروراً شديداً .
وعلى فكرة ، ما اسم تلك الأسهم ؟
[يجلس إلى مكتبه ، ويحرر الشيك]

السيدة فيرجسون : أوه ، إنها خاصة بمنجم ذهب ، واسمها
جوهانسبرج وأورشليم الجديدة .

ديكى : اسمها يوحى بالثقة . [يناولها الشيك]

السيدة فيرجسون : أشكرك جزيل الشكر ، وهذا ظريف منك
للغاية . والآن اكتب تذكرة دواء صغيرة
حتى يكون ثمة شئ نريه لپينيلوپى .

ديكى : أنت واعية لكل شئ [يكتب]

السيدة فيرجسون : لا بد أن أدفع لك أجراً .

ديكى : أوه ، أنا لا أهتم بهذا .

السيدة فيرجسون : ولكنى مصممة . ثم إنه يجعل القصة أقرب
إلى التصديق :

[تنظر فى كيس نقودها]

السيدة فيرجسون : أوه ، يا لحماقتى ! لا يوجد فى كيسى
إلا قطعة نقود من ذات الشلنين . ترى
ألديك الآن جنيهان ؟

ديكى : أوه ، نعم . أظن ذلك ، وهذا هو كل
المبلغ الذى ربحته اليوم .

[يخرج الجنيين من جيبه ويعطيها للسيدة
فيرجسون ، فتضعهما على المكتب ومعهما قطعة
التقود ذات الشلنين]

السيدة فيرجسون : أشكرك . . . هاك الأجر . وهو يبدو
أجراً محترماً جداً . يجب أن تدعه هناك
حتى تراه بينيلوبي .

ديكى : أستطيع أن أنادىها ؟

السيدة فيرجسون : سأنادىها أنا [تتجه إلى الباب وتنادى] بينيلوبي
لقد انتهينا من الكشف .

ديكى : [يسمع أصواتاً أعلى الدار] هالو ، إنه خالنا
دافينپورت .

السيدة فيرجسون : أوه ، لقد قابلته فى المنتزه منذ أيام
فتلطف معى كل التلطف ، وسألنى عما إذا
كنت من أسرة فيرجسون أوف جلينجرى
ولم أعرف ما يعنيه ، ولكنى رددت
بالإيجاب ، وبدأ أن هذا سره سروراً
شديداً .

ديكى : يحسن ألا تخبريه أنك من عامة الشعب
وإلا أصيب بنوبة مفاجئة .

السيدة فيرجسون : أوه ، سأخبره أنى من أسرة لاندودنو ،
وأظن أن لهذا الاسم وقعاً أبلغ .

ديكى : أنت تتمتعين بما يصح أن يسمى -تأديا- بأنه
قدرة فائقة على الاختراع .

السيدة فيرجسون : أنا لا أدري شيئاً عن ذلك ، ولكنى امرأة
ذات أنوثة ، وهذا هو سبب إعجاب الرجال بى
[تدخل بينيلوپى وبارلو]

بارلو : آه ، السيدة فيرجسون ، هذه مفاجأة
سارة .

السيدة فيرجسون : أيها الرجل الشقى الخبيث . لقد قيل لى
إنك سادر فى غيك .

بينيلوپى : أتقصدين خالى دافيدپورت

بارلو : [منتبهاً] آه .. آه .. هذه شائعات أيام
التلمذة يا سيدة فيرجسون .

السيدة فيرجسون : لو أنى علمت أية سمعة يتداولونها عنك
لما سمحت لك أن تحدثنى مدة نصف
ساعة فى المنزه .

بارلو : [تنتفخ أوداجه ابتهاجاً] أوه ، يجب
ألا تنصتى لكل ما يقال . إن الرجل الذى
يختلط بالمجتمعات مثلى لابد أن يتعرض

للقليل والقال ، فعالمنا صغير جداً وكثير
التقول .

السيدة فيرجسون : كان الدكتور أوفاريل يكتب لى تذكرة
دواء ، فأنا لست فى صحة جيدة هذه
الأيام .

بارلو : أوه ، يسوعنى جداً أن أسمع ذلك .
ولكنك تبدين فى صحة تامة ، وجميلة
للغاية .

السيدة فيرجسون : آه أيها الرجل القاسى الشنيع ! كنت
أريد أن ترثى لى وتقول لى إننى أبدو
مريضة جداً .

بارلو : إذا سمحت لى بزيارتك أعدك أن أرثى
لك ، ولكنى أخشى ألا أستطيع أبداً أن
أقول لك شيئاً سوى أنك جذابة .

السيدة فيرجسون : هذا ظريف منك للغاية . يجب أن تحضر
لزيارتى ساعة رجوعى من باريس .

[ديكى يفرع]

بينيلوبي : أترحلين إلى باريس ؟

السيدة فيرجسون : جئت بقصد إخبارك بهذا . إن لى رأساً
مثل الغربال حقاً . فالسيدة ماك المسكينة
سالتنى إذا كنت أستطيع مرافقتها إلى

باريس . وقد وقع حادث مشثوم ، فإن
أم خادمتها ماتت فجأة ، وتريد الابنة
المسكينة بالطبع أن تحضر الجنازة ، ولهذا ..

بينيلوبي : سألتكِ السيدة ماك أن تحلى محل
خادمتها ؟ ..

السيدة فيرجسون : لمدة يومين فقط بالطبع . والآن أريد أن
أعلم يا عزيزتي ... خبريني بصراحة ،
أيضايقك هذا ؟

بينيلوبي : أنا ؟

السيدة فيرجسون : بعض النساء أطوارهن غريبة للغاية ، وقد
ظننت أنك قد لا ترضين عن فكرة سفرى
مع الدكتور أوفاريل إلى باريس . وسنعود
معاً بالطبع .

بينيلوبي : يا للهراء ! أنا بالطبع فى منتهى السرور ،
وسيحلو لديكى أن يجد رفيقاً يصحبه فى
رحلته .

السيدة فيرجسون : انتهينا إذن ، فأنا أحب الصراحة كما
تعلمين .

بارلو : [يقع بصره على الجنهين والشلين] أراك تغترف
الذهب اغترافاً يا ديكى .

السيدة فيرجسون : أوه ، هذا هو الأجر الذى دفعته . وقد

صممت على أن أدفع أجراً - وأردت على
الأخص أن تعلمي أنت بالذات ذلك
يا بينيلوبي . فأنا مدققة جداً في مثل هذه
الأمور .

بينيلوبي : أوه ، ولكن ديكي لا يستطيع قبول هذا

[إلى ديكي] إنك عجوز شحيح !

ديكي : أوكد لك أنني أبيت قبول هذا المبلغ .

بينيلوبي : حقاً لا بد لك من استرداد مبلغك يا أدا :

السيدة فيرجسون : [ترفع يدها اعتراضاً] لا ، لا أستطيع أبداً ،
فهذا مبدأ من مبادئ .

بينيلوبي : أنا أعلم أن مبادئك سامية ، ولكني في

الحق لا أحب أن يقبل ديكي أجراً
لفحصه أعز صديقة لي .

[تتناول بينيلوبي النقود وتعطيها للسيدة فيرجسون]

السيدة فيرجسون : أوه ، طبعاً ، ما دمت تنظرين إلى الأمر
على هذا النحو فأنا لا أدري ماذا أصنع .

بينيلوبي : ضعي المبلغ في كيسك ودعي الكلام عن
هذا الموضوع .

السيدة فيرجسون : أوه ، هذا ظريف جداً منك .

[تضع المبلغ في كيسها ويبدو ديكي مبتساً

عند ما يرى نقوده تختفي]

السيدة فيرجسون : والآن لا بد لي من الانصراف بسرعة .

[تمد يدها إلى بارلو] طبت مساء . لا تنس
أن تأتي لزيارتي ، ولكن اعلم أنني أنتظر
منك أن تحدثني عن كل ما يتعلق براقصة
الباليه الصغيرة .

بارلو : [وقد سره أن تظن به مثل هذه الحلاعة] لا تطلي
مني أن أفشي الأسرار .

السيدة فيرجسون : [لپينيلوي] طبت مساء يا عزيزتي .

پينيلوي : ساصحبك إلى الباب .

[تخرج پينيلوي والسيدة فيرجسون]

ديكي : [متوجهاً إلى التليفون] لا أعتقد أنك عرفت
في حياتك فتاة من راقصات الباليه .

بارلو : لا ، ولكنه يطيب لسيدات طبقتنا أن
يحسبن المرء غارقاً إلى ذقنه مع بنات
هذه الحرفة .

ديكي : يا سنترال ، رقم ١٢٣٤ ... آه لو علم
الناس أن تسع فتيات من كل عشر من
فتيات الباليه يعدن كل ليلة إلى أولادهن
وأزواجهن القاطنين في الضواحي ! ..
ولكني أريد محادثة السمسار الذي أعامله
تليفونياً ... أهذا أنت يا روبرتسون ؟
قل لي ، أتعرف شيئاً عن منجم باسم

جوهانسبرج وأورشليم الجديدة ؟ مشروع
فاشل ؟ هذا ما ظننته . هذا كل
ما أردته ، أشكرك . [يبد سماعه التليفون
إلى موضعها - ويقول لنفسه في مرارة] . مائة
وثمانون جنياً ذهبت أدراج الرياح .

بارلو : اسمع يا ديكى . ما دام لديك الآن شيء
من الفراغ ، فقد تستطيع أن تجود على
بنصيحة طيبة ، ولن أدفع لك أجراً
بالطبع .

ديكى : يا إلهى ! لكأن عيادتى مستشفى . ولكن
ليس هناك حتى من يعاوننى بالتبرعات .
بارلو : المسألة أنى لاحظت أخيراً - أننى لم أعد
نحيف القوام كما كنت .

ديكى : لم أكن فى حاجة إلى نظر ثاقب لألاحظ
ذلك .

بارلو : أنا لم أطلب منك هذا الرد الذكى
يا ديكى ، ولكنى طلبت نصيحتك .

ديكى : لا داعى لأن تشغل بالك برشاقة قوامك
وأنت فى هذه السن ! . .

بارلو : أقول لك الحق إنه خيّل لى أنى أحدثت
بعض الأثر فى نفس سيدة ظريفة جداً...

ديكى : [مقاطعاً] خذ بنصحى وتزوج بها سريعاً
قبل أن يتبدد هذا الأثر .

بارلو : السيدة متزوجة، وإن بدا لك هذا غريباً .

ديكى : لا تردد إذن وانج بجلدك .

بارلو : ماذا تعنى يا ديكى ؟

ديكى : يا خالى العزيز دافينپورت ، أنا فى

سن تسمح بأن أكون مثل ولدك ... إن

مغازلة المرأة المتزوجة أكثر التسلّيات التى

اخترعها الإنسان شططاً ، فخذ حذرک ! .

هذا كل ما أقوله لك . خذ حذرک !

بارلو : لماذا ؟

ديكى : ستقيّدك من يديك وقدميك ، وتضع

طوقاً حول عنقك ، وتقودك أيان سارت،

وستسألك كل يوم عشر مرات عما إذا

كنت تحبها حقاً . وستشير ضجة فى كل

مرة تحاول مفارقتها لترغمك على البقاء

مدة أطول . وفى كل مرة تضع قبعتك

على رأسك ستلزمك بتحديد ميعاد

زيارتك التالية .

بارلو : ولكن النساء جميعهن يفعلن هذا ،

وهو دليل على إعجابهن بك .

ديكى

: نعم ، أظن أن النساء جميعاً يفعلن هذا ،
ما عدا بين ، فهى لا تهتم أبداً . إنها
لا تسألك قط عما إذا كنت تحبها ، ولا
تستبقيك أبداً حين تريد الانصراف ، ولا
تصر على معرفة كل تحركاتك . وإذا
غادرتها لا توجه إليك بحال ذلك
السؤال الشيطاني الذي لا مهرب منه : في
أية ساعة ستعود ؟

بارلو

: لو أن زوجتى يابنى كانت غير مبالية بي
إلى هذا الحد لسألت نفسى عن يكون
الرجل الآخر .

ديكى

: بالله ماذا تقصد بذلك ؟

بارلو

: يا عزيزى ديكى ، إن من طبع المرأة
الغلو فى مطالبها ، فهى إذا أحبتك
أصبحت دائماً مصدر إزعاج ...
ومصدر إزعاج مبهج كل الإبهاج
فى نظرى ، فأنا أحبه .

ديكى

: أنت لا تشير إلى أن بينيلوپى ...

بارلو

: يا ولدى العزيز ، أنا لم أحضر لأحدثك
عن بينيلوپى ، ولكن عن صحتى أنا .

ديكى

: [متضجراً] أوه ، أنت مصاب بتشحم

- مزمّن . هذا هو كل ما تكابده .
- بارلو : يا إلهي ، هذا يبدو مزعجاً للغاية . وماذا
أصنع لعلاجه ؟
- ديكى : [بعنف وسرعة] دع الخمر والكحول
والمسكرات والخبز والزبد واللبن والقشدة
والسكر والبطاطس والجزر والقنيط
والبازلاء واللفت والأرز والساغ والطبوقه
والمكرونة والمربي والعسل والمارملاد .
- بارلو : ولكن هذا ليس علاجاً بل قتل !
- ديكى : [دون التفات لما قيل] البس صداراً صوفياً
واجر حول المنتزه كل صباح قبل
الإفطار . دعني ألق نظرة على كبذك .
- بارلو : ولكن ، يا عزيزي ديكى ...
- ديكى : تمدد على هذا المقعد المستطيل ، ولا
تثر ضجة بسبب ذلك ، فأنا لن أقتلك .
[يرقد بارلو على المقعد] ارفع ركبتيك .
- بارلو : [بينما يتحسس ديكى كبده] إنها امرأة رائعة
باهرة الحسن ... هذا ما لا شك فيه .
- ديكى : استرخ تماماً ... من هي المرأة الرائعة
الباهرة الحسن ؟
- بارلو : السيدة فيرجسون .

[ديكى يجفل ، ويجدج بارلو بنظرة ، ثم
يبتعد فاغر الفم]

بارلو

: ديكى ، ديكى .

[ينادر المقعد مزعجاً انزعاجاً شديداً]

بارلو

: أكبدى فى حالة سيئة جداً ؟

ديكى

: [شارد الذهن للغاية] إنها فى حالة شنيعة وكنت
أتوقع ذلك .

بارلو

: [بنبرة حزينة] صارحنى بالحقيقة على الفور
يارتشارد .

ديكى

: [فى صبر نافذ] لا تكن حماراً عجوزاً . فإن
كبدك سليمة مثل كبدى . وليس بك
من شئ إلا أنك تسرف فى الطعام ،
ولا تقبل على الرياضة بقدر كاف .

بارلو

: [مدهاناً] يخيّل إلى أن على الإنسان أن
يدفع ثمناً لكونه أشهر آكل خارج بيته
فى زمنه .

ديكى

: [يجدجه بنظرة حادة] أهى السيدة فيرجسون
التي تقول عنها إنك أحدثت فى نفسها
بعض الأثر ؟

بارلو

: [راضياً عن نفسه كل الرضا] أنا يا صديقى
العزيز آخر من يفشى سر امرأة .

ديكى

: آه !

بارلو

: أسألك فيما بيننا يا ديكى ، أتظن أن
السيدة فيرجسون تجد أن الأمر شاذاً إذا
دعوتها إلى تناول الغداء معى فى كارلتون
على انفراد ؟

ديكى

: شاذاً ! إنها تقفز طرباً لذلك .

بارلو

: أتظن أن زوجها يمانع ؟

ديكى

: أوه ، لا بأس من زوجها ، فهو ماض

فى خدمة وطنه بشجاعة فى بلد أجنبى .

بارلو

: هذا دليل على أن لها طبيعة لطيفة ،

وإلا لما جاءت إلى بينيلوبى تسألها عما إذا

كانت تمانع فى سفرهما معاً إلى باريس .

ديكى

: نعم ، إن لها طبيعة طريفة .

بارلو

: إنك لجرو محظوظ . وددت لو أرحل معها

إلى باريس .

ديكى

: [بحرارة] وددت لك ذلك .

بارلو

: ها ، ها . حسناً ، حسناً . لا بدلى من

الانصراف الآن على عجل فسأتناول

طعام العشاء خارج بيتى كالعادة . إن هؤلاء

الدوقات الطيبات لا يتركننى وشأنى . طبت

مساء .

[يخرج . ويظل ديكى يذرع الغرفة ذهاباً وإياباً]

مفكرا . وبعد لحظة تعلل بينيلوي برأسها [بينيلوي : يا عزيزي ، أما آن أن تعد حقيبتك للسفر .

ديكي : ادخلي ولندخن لفاقة سويا .

بينيلوي : سمعاً وطاعة .

[تتناول سيجارة فيشعلها لها]

بينيلوي : أرجو أن تمضي وقتاً ممتعاً في باريس [تجلس]

ديكي : أنت لا تجلسين أبداً على ذراع مقعدى كما اعتدت أن تفعل .

بينيلوي : أخشى أن أكون قد جاوزت مرحلة الشباب ، فأنا أجد أن جلوسى في مقعد خاص بي يتيح لى راحة أوفر كثيراً .

ديكي : [يحاول أن يخفى حيرة خفيفة] ألم تدهشى نوعاً ما عندما أخبرتك السيدة فيرجسون أنها ستسافر الليلة إلى باريس

بينيلوي : أدهش !

[تضحك بينيلوي ضحكة صغيرة ، وتحاول أن تكتمها ، ولكنها لا تستطيع ، فتنفجر مستسلمة في جلجلة من الضحك بعد جلجلة . ويلاحظها ديكي بدهشة متزايدة]

ديكي : أى شيء فى الوجود يضحكك ؟

پینیلوپ : [ممتة في الضحك] يا عزيزى ، لا بد أنك
تظننى بلهاء . لقد كنت أعلم بالطبع أنكما
ستسافران معا .

ديكى : [يفرع كل الفرع] أنا لا أعرف عم تتحدثين .
پینیلوپ : حاولت أن أغضى الطرف فلا أرى شيئاً
ولكنك جعلت ذلك شديد الصعوبة .

ديكى : [معزماً أن يبدو متشائماً] أتكرمين وتفصحين
عن قصدك

پینیلوپ : يا عزيزى ، أنا بالطبع أعرف كل شيء
عن الموضوع .

ديكى : أنا عاجز كل العجز عن معرفة قصدك .
ما هذا الذى تعرفين كل شيء عنه ؟

پینیلوپ : أعرف كل شيء عنك وعن أدا يا أبله .
ديكى : [معناً في التشايع] پینیلوپ ، أتعنين أنك
ترتابين فى أنى ... ؟

پینیلوپ : [بابتسامة حب] يا حبيبى !

ديكى : [يزعج فجأة] ماذا تعرفين ؟

پینیلوپ : كل شيء .

[يشفق ، وينظر إلى پینیلوپ فى قلق]

پینیلوپ : كنت أجد تسليّة كبرى فى مراقبتكما خلال
الشهرين الماضيين .

- ديكى : تسليه ؟
- پينيلوپي : لقد كان فى الحق ممتعاً كأنه مسرحية ؟
- ديكى : [فى حيرة تامة] أ كنت تعلمين طوال الوقت ؟
- پينيلوپي : يا عزيزى ، ألم تر أنى فعلت كل شىء فى الوجود لأجمعكما معا ؟
- ديكى : ولكنى أوكد لك أن ما تتحدثين عنه ليس فيه كلمة صحيحة .
- پينيلوپي : [مداعة] قل الحق يا ديكى !
- ديكى : ولكن لماذا ظلت ساكتة لا تتكلمين ؟
- پينيلوپي : ظننت أن الكلام إنما يربكك . وأنا لم أقصد أن أقول شيئاً اليوم أيضاً ، ولكنى لم أستطع أن أمنع نفسى من الضحك عند ما سألتنى عما إذا كنت دُهِشت ...
- ديكى : أأنت غاضبة ؟
- پينيلوپي : غاضبة ؟ ومم أغضب ؟
- ديكى : أأنت غيـرى ؟
- پينيلوپي : غيـرى . لا بد أنك تظننى حمقاء .
- ديكى : أنظرتِ إلى ما حدث على أنه أمر عادى .
- پينيلوپي : وتسليت به . وكان ممتعاً كأنه مسرحية .
- پينيلوپي : يا عزيزى ، لقد دام زواجنا خمس سنوات . ومن السخف الظن بأن يحدث

- شيء بيننا بعد هذه المدة الطويلة .
- ديكى : أوه ، أهكذا . أنا لم أتنبه لهذه الحقيقة .
- بينيلوپي : المسألة كلها بدت فى نظرى بلا أهمية ،
- وقد سرنى أن أعتقد أنك سعيد .
- ديكى : [يثور ثأره] حسناً ، أظن ذلك أمراً
- شائئاً حقاً يا بينيلوپي .
- بينيلوپي : أوه ، يا عزيزى ، لا تغال . إنها كانت
- هفوة لا ضير منها .
- ديكى : أنا لا أتحدث عن سلوكى ، ولكن عن
- سلوكك أنت .
- بينيلوپي : سلوكى أنا ؟
- ديكى : نعم ، وأنا أسميه سلوكاً فاضحاً .
- بينيلوپي : [فى خيبة أمل تامة] لقد ظننته لبقاً
- للغاية .
- ديكى : صحيحاً للبقاء . لا بد أنك مجردة من كل
- شعور باللباقة .
- بينيلوپي : يا عزيزى ، أنا لم أفعل شيئاً .
- ديكى : هذه هى المسألة بالضبط . كان عليك
- أن تفعل شيئاً . كان عليك أن تشعل
- ثورة... كان عليك أن تثيرى المشاجرات ،
- وأن تطلبى الطلاق . أما جلوسك ساكنة ،

وتركك الأمور تجري في مجراها وكان
شيئاً لم يحدث ، فهو تصرف فظيع .

بينيلوبي

: أنا جيد آسفة . ولو علمت أنك تريدني
أن أثّر شجاراً لفعلت دون شك . بيد أن
الأمر لم يبد في الواقع جديراً بإثارة
الضجيج حوله .

ديكي

: أنا لم أسمع قط بمثل هذا التجرد من
العاطفة ، هذا التبلد ... هذه الكلية .
: إن إرضاءك عسير .

بينيلوبي

: ولكن ألا تدركين أني عاملتك معاملة
شنيعة ؟

ديكي

: أوه ، لا . إنك كنت دائماً خير الأزواج
وأعقلهم .

بينيلوبي

: لا ، لقد كنت زوجاً سيئاً . وإن لي من
الرجولة ما يكفي للاعتراف بهذا . وفي
نيتي أن أبدأ صفحة جديدة يا بينيلوبي .
سأتحلى عن أدا ، وأعدك ألا أراها
بعد ذلك أبداً .

ديكي

: يا عزيزي ، لماذا تسبب لها شجنا لا داعي
له ؟ وهي على أية حال صديقة قديمة لي ،
وأظن أن أقل ما أتوقعه منك أن تحسن

بينيلوبي

معاملتها .

: أتعنين بهذا أنك تريدن استمرار ما نحن عليه؟

ديكى

: إنه ترتيب يوافقنا نحن الثلاثة . فالأمر

پينيلوپي

يسليك ، فإن «أدا» ستجد من يصحبها خارج

بيتها ، وأنا أحصل على قدر كبير من

الأثواب الجديدة .

: الأثواب ؟

ديكى

: نعم . فقد كنت أواسى قلبي المجمع بملء

پينيلوپي

خزانة ملابسى .

: أنت تريدن إذن تضحية سعادتنا بأسرها

ديكى

فى سبيل أثوابك ! أوه ، إني غدت أفعى

بين جوانحى ... لعلى سلكت سلوك وحش

ضار ، ولكنى وحق الشيطان أميز بين

الصواب والخطأ ، إن عندى إحساسا بالفضيلة .

: يبدو أنه أزاح إحساسك بالفكاهة وحل

پينيلوپي

محله .

: أتعلمين أنى عانيت ونخر الضمير خلال

ديكى

هذه الأسابيع كلها ؟ كنت أقول لنفسى

كل يوم إنى أعاملك معاملة مخجلة . إنى

لم أنعم بلحظة سعادة واحدة ، وكأننى

كنت راقداً فوق آلة تعذيب .

پینیلوپي : ولكن لا يبدو أن هذا أثر تأثيراً خطيراً في صحتك .

ديكي : وهأنت ذى كنت تضحكين منى فى سرّك طوال الوقت . . . يستحيل أن تستمر هذه الحال .

پینیلوپي : لا أرى فى الحق ما يدعو لعدم استمرارها .

ديكي : لقد أخطأ كل منا فى فهم الآخر . فما أنا بالرجل الذى يحتمل مثل هذا الموقف بغير مبالاة . وقد أخطأت فهمك يا پینیلوپي فقد كنت أظن أنك تحبيننى .

پینیلوپي : أنا متيسمة بك .

ديكي : هذه طريقة جميلة لطيفة لإظهار ذلك .

پینیلوپي : ما كنت أظنها كذلك .

ديكي : إنك امتهنت كل عاطفة طيبة فى طبيعتى .

پینیلوپي : وماذا تعزم أن تفعل إذن ؟

ديكي : سأفعل الشئ الوحيد الممكن ، وهو

الانفصال عنك . .

پینیلوپي : [تسمع أصواتاً فى الردهة] ها هما أبى وأمى

لقد قالاً إنهما سيعودان .

ديكي : ليهما لا يكشفان أبداً ما فيك من شر

وقسوة ؛ وإلا لبعث هذا الكشف
بشيخوختهما إلى القبر في حزن مرير .

بينيلوبي : ولكنهما لا يجهلان من الأمر شيئاً يا عزيزي .
ديكي : ماذا ! أليس هناك أحد يجهله ؟

بينيلوبي : إننا كتمناه عن خالي دافينپورت . فهو
رجل عملي ، وليس له إدراك للفكاهة .
[تدخل بيتون لتعلن قنوم جولاييتلي وزوجته ،
ثم تخرج]

بيتون : البروفسور جولاييتلي والسيدة جولاييتلي .
[يدخل الزوجان]

بينيلوبي : [تقبل السيدة جولاييتلي] كيف الحال يا أمي...
يا أبي ! يريد ديكي أن ينفصل عني
لأنني أرفض الطلاق منه .

جولاييتلي : هذا لا يبدو منطقياً جداً .

السيدة جولاييتلي : ماذا حدث ؟

بينيلوبي : لم يحدث شيء . وأنا لا أستطيع أن أتبين
سبباً يدعو ديكي إلى كل هذا الغضب .

ديكي : [ساخطاً] أليس هناك من سبب !

بينيلوبي : أنا لم أرد أن أقول شيئاً عن الأمر ،
ولكن ديكي اكتشف أننا كنا على علم
بتفاصيل مغامرته الغرامية الصغيرة .

جولائتلى : ما أبعد ماصنعت عن اللياقة يا عزيزتى ! ،
إن الرجل يحب أن يُبقى هذه الأمور
خافية على زوجته .

ديكى : وهل تعرف الموقف الذى تقفه بينيلوپي
من الأمر ؟

جولائتلى : [فى رقة] أوه ، أأست تبالغ يا ولدى
العزيز فى تقدير إساءتك ؟

ديكى : ليس لى أى عذر فيما ارتكبت .
جولائتلى : كانت المسألة تافهة . ولو أخذتها بينيلوپي
مأخذ الجدل لدل ذلك على أن روح
الفكاهة تعوزها على نحو مؤسف .

ديكى : أتعنى أنك توافقها ؟ ...
جولائتلى : يا صديقى العزيز ، نحن فى القرن العشرين .
ديكى : أوه ! أيتها السيدة جولائتلى ، أنت تنفقين
وقتك فى هداية الوثنيين ، فهلا ترين أن
أسرتك فى حاجة إلى بعض عنايتك ؟

[تغمز بينيلوپي للسيدة جولائتلى فى خفية عن
ديكى لتحملها على مواصلة تمثيل المشهد]

السيدة جولائتلى : إن درايتى الطويلة بالشعوب البربرية دلتنى
على أن الرجل حيوان مزواج بطبعه .

ديكى : إن رأسى يدور .

السيدة جولايثلى : أعترف أنى شعرت بالفرح إذ سمعت أنها
متزوجة فهذا يجعل العلاقة تبدو أدعى
إلى الاحترام .

ديكى : نخيل إلى أنى الرجل الوحيد المتمسك
بالأخلاق هنا .

بينيلوپي : ديكى ، عزيزى ... أنا لم يكن لى قصة
غرام مع ذلك الشرطى .

ديكى : ليت ذلك حدث . فعندئذ كنت لا أعاملك
بمثل معاملتك .

بينيلوپي : لقد فكرت فى الأمر ، ولكن شاربى لم
يعجبنى .

ديكى : لست أجهل أنى أستحق اللوم ، وأنى
سلكت سلوك وحش بهم

بينيلوپي : أوه ، هراء .

ديكى : لا تعارضينى يا بينيلوپي . أنا أخجل من
نفسى كل الحجل .

جولايثلى : هونا ، هونا !

ديكى : أكرر القول إنه لا عذر لى .

السيدة جولايثلى : يا للمسكين ، يبدو أنه متأثر جداً من
فعلته .

ديكى : إنى لأجد رجلين تحملانى ، ولكنى أقسم
أن لى إحساساً بالفضيلة وأقول لكم

جميعاً إني ساخط كل السخط ، فأنتم
تهدمون أركان المجتمع . وأيا كان ما ارتكبت
فإني أكن لقدسية البيت ، ولكرامة الحياة
العائلية احتراماً يفوق ما تكونونه لهما
كلكم مجتمعين .

[يتدفع نحو الباب ، ثم يقف ، ويدور ليهز
قبضته في وجوههم]

ديكى : إحساس بالفضيلة ... هذا هو ما يميزني
عنكم . [يخرج ويخبط الباب وراءه]

بينيلوبي : [بابتسامة] يا للحبيب المسكين !
جولاييتلى : أى شيء دعاك إلى التعجل في كشف
الأمر كله ؟

بينيلوبي : لقد حضرت إلى هنا اليوم ، ورأيت أنه
سئم منها غاية السأم .. أمي ، إنك سلكت
مسلك بطلّة من بطلات القصص .

السيدة جولاييتلى : إني لن أغتفر لنفسى أبداً نطقى بتلك
العبارات الشنيعة التي حملتني على قولها .

بينيلوبي : أوه ، نعم ، ستغفرين لي ذلك يا أمي . فما هو
إلا أن تزيد صيامك يوماً في الصوم
الكبير القادم ، فهذا يفيد روحك وقوامك
على حد سواء .

السيدة جولاييتلى : بينيلوپى !

بينيلوپى : [إلى جولاييتلى] شعرت فجأة بأن اللحظة الحاسمة قد حانت .

جولاييتلى : حذار .

[يندفع ديكى إلى الغرفة فى عنف]

ديكى : خبرينى . ماذا تفعل هاتان المرأتان اللعينتان فى الردهة ؟

بينيلوپى : أية امرأتين ؟ أوه ، عرفت . . . [تتجه إلى الباب] تفضلا بالدخول لقد جاءتا من قبل فرنسواز الحائكة .

[تدخل الفتاتان وهما تحملان صناديق قبعات]

بينيلوپى : لقد قلت لى إنى أستطيع شراء قبعة أو قبعتين لأواسى نفسى عن سفرك إلى باريس .

جولاييتلى : هذا ظريف منك يا ديكى . وهو يدل على أنك لست أنانى الطبع .

[تغمز بينيلوپى لأمها مرة أخرى]

السيدة جولاييتلى : أنت لم تسمح لى قط يا تشارلز أن أشتري قبعات كما أشاء .

جولاييتلى : وأنا من الناحية الأخرى لم أقم برحلات قصيرة إلى باريس يا عزيزتى دون أن أصحبك .

السيدة جولاييتلي : بعض النساء موفقات كل التوفيق في زواجهن .

[تخرج الفتاتان القبعات خلال ذلك ، وتلبس
بينيلوبي قبعة ، وتغبط اغتباطاً شديداً]

بينيلوبي : أوه ، أليست رائعة؟ (تنظر إلى القبعة الثانية)

أوه ، أوه ! .. أرايت شيئاً أجمل من
هذا ؟ إنك لطريف يا ديكى ، وأنا
فرحة جداً لسفرك إلى باريس .

ديكى : [بعنف] لن أذهب إلى باريس .

بينيلوبي : ماذا ؟ !

ديكى : اذهبا بهذه القبعات جميعها .

بينيلوبي : ولكن السيدة ماك ؟

ديكى : السيدة ماك تستطيع الذهاب إلى الشيطان .

[يتناول ساعة التليفون]

ديكى : هاللو ، هاللو . جيرارد ١٢٣٤ . أخبر

السيدة فيرجسون أن السيدة ماك أصيبت

بنكسة ، ولن تستطيع الرحيل إلى باريس

الليلة .

نهاية الفصل الثانى

الفصل الثالث

المنظر

مخدع بينيلوبي ، وهو غرفة جذابة ،
مكسوة الأثاث بقماش زاهى الألوان ،
وبهيجة بما فيها من أزهار الحريف وباقات
الأوراق العريضة . وهناك مرآة كبيرة .
وهى غرفة جديرة بالعيش فيها ، وفى
الغرفة هنا وهناك كتب ومجلات ، وصور
فوتوغرافية لديكى تمثله فى كل وضع
متصور .

وتقف بينيلوبي وحدها وسط الغرفة وهى
فى ثوب فتان ، وتنظر فى المرآة ، وتدور
مبتسمة عن رضا ، وتصلح من شأنها ،
وترى فجأة شيئاً لا ترتاح إليه تماماً ،
فتقطب قليلاً ، وتلوى وجهها سخرية ،
وتنحني فى تأتق ووقار ، ثم ترسل نفسها
قبلة فى جذل ،

[تدخل بيتون ويتبعها جوليتلى وزوجته]

- بيتون : البروفسور والسيدة جولاييتلى .
- پينيلوپى : [تبسط ذراعها] أوه ، يا أمى التقية !
- السيدة جولاييتلى : [مبهورة الأنفاس] لم أصعد طوال حياتى
سلاماً ، بهذا الطول .
- پينيلوپى : قلت لبيتون أن تصعد بكما إلى هنا حتى
لا يأتى أحد ويضايقنا [وبجركة مسرحية]
يا أبى النيل !
- جولاييتلى : طفلى !
- السيدة جولاييتلى : لا تكونى مضحكة يا بين .
- پينيلوپى : اجلسى يا أمى ، واسترجعى أنفاسك لأنى
سأقطعها مرة أخرى .
- السيدة جولاييتلى : لا يبدو أن هناك ما يستحق ذلك .
- پينيلوپى : ديكى يعبدنى .
- السيدة جولاييتلى : أهذا كل ما هنالك ؟
- پينيلوپى : ولكنه أعجب الأمور فى الحياة ، وأشدّها
لذة وإدهاشاً . وأنا الآن فى السماء السابعة
لفرط ابتهاجى .
- جولاييتلى : ولكن ، أقال لك ذلك ؟
- پينيلوپى : أوه ، لا . فإننا لم نعد إلى التخاطب حتى
الآن .

جولايتلى

: آه ، أظنكما تعبران عن عواطفكما المتبادلة بالتمثيل الصامت .

پينيلوپي

: لقد خرج ليلة أمس عقب انصرافكما مباشرة ولم يعد إلا بعد منتصف الليل .
وسمعتة يقف أمام باب غرفتي ، فدفست
نفسي بين أغطية فراشي ، وتظاهرت
باستغراق في النوم ، ولكني تركت يدي
تتدلى في إهمال إلى جانب سريري . وبعد
ذلك دق الباب دقة خفيفة ، ولما لم أجب
دخل الغرفة ، وأقبل على أطراف أصابع
قدميه ، ونظر إلى كأنه — كأنه يود لو
يلتهمني .

جولايتلى

: پينيلوپي ، أنت تشطحين في الخيال .
فكيف بالله تستطيعين معرفة ذلك ؟

پينيلوپي

: [تضع أصبعها خلف رأسها] رأيتـه من
مؤخرة رأسي — من هنا . ثم انحنى
واكتفى بأن لمس يدي بشفتيه [تبدى يدها
لجولايتلى] أنظر ، هنا قبلها ، بين
الراحة والأصابع بالضبط .

جولايتلى

: [ينظر في يدها مجد] يبدو أن القبلة لم تترك
أثراً .

پینیلوپي

: لا تكن ساذجاً - ثم زحف في هدوء إلى خارج الغرفة ثانية ، واستغرقتُ في أول نعاس عميق حقاً نعمت به منذ شهر . وقد تناولت طعام الإفطار صباح اليوم في فراشي ، وعند ما غادرت الفراش كان ديكى قد خرج .

السيدة جولايلى : ألم تريه اليوم قط ؟

پینیلوپي

: لا ، فهو لم يحضر لتناول الغداء .

السيدة جولايلى : أنا شاكرة يا تشارلز لأنك لم تظهر لى حبك بابتعادك عني بصورة منظمة .

پینیلوپي

: ولكن الأمر فى غاية البساطة يا عزيزتى . إنه بالطبع غاضب جداً ، فقد أشعرته بأنه شديد البلاءة ، وهو يمقت ذلك . ولكن يا إلهى ! إننى الآن ، بعد عشرتى له خمس سنوات ، أعرف كيف أعامله بعد أن جرحته كبرياءه ولم يبق إلا أن أتيح له فرصة لإنقاذ ماء وجهه ، ثم يرتضى كل منا فى حضن الآخر ، ونعيش بعد ذلك سعداء إلى ما شاء الله .

[يسحب جولايلى ورقة من فوق منضدة كان

يجلس قريباً منها ، ويأخذ في الكتابة على الفور
وهو يتأمل]

السيدة جولاييتلى : ولكن ، لا تضيعى الوقت النفيس يا
عزيزتى ، وصليه دون إبطاء .

بينيلوبي : لا ، أنا أوفر حكمة من أن أقدم على ذلك .
إني لن أقدم على شيء حتى أراه قد
تخلص من أدا فيرجسون كلية .

السيدة جولاييتلى : ألم تريها أخيراً ؟

بينيلوبي : لا ، ولكنى أتوقع حضورها في أية لحظة

السيدة جولاييتلى : [بشهقة] حضورها هنا ؟

بينيلوبي : حادثتى الليلة الماضية تليفونياً في صوت

عميق كهذا [تحاكي نبرات صوت الرجل] حتى
لا أعرف أنها المتكلمة ، وسألت عما إذا
كان ديكى موجوداً في المنزل ، وأجبته
بأنه غير موجود . فقالت [تحاكي صوت
الرجل من جديد] أسمحين أن تسأليه
على أثر وصوله أن يتصل بالسيدة
ماك تليفونياً ؟ . فقلت أوه ! أظنه عند
السيدة ماك يقضى المساء كله . وأنهيت
المحادثة بسرعة . وفى هذا الصباح رفعت
ساعة التليفون ، وتركتها مرفوعة ،

وأحسب أن «أداء» لا بد أن تكون الآن في
حالة عصبية شديدة .

[يقع نظرها على جولاييتلى فتتجه إليه لترى
ما يكتب]

بينيلوبي : [تضرب المنضدة براحتها في حدة] ١ + ١

لا يساوى ثلاثة يا أبى .

جولاييتلى : أنا لم أقل ذلك قط يا عزيزتى .

بينيلوبي : لماذا إذن تكتبها كذلك ؟

جولاييتلى : لأنه يبدو لي أنك تعتقدين ذلك ، وأنا

أقدر فطنتك أكبر تقدير .

بينيلوبي : ليتك اخترت أباً لأولادك لا يغيظ الناس

هذه الإغظة يا أمى ، إن كان وجوده

ضرورة في نظرك .

[جولاييتلى لا يحير جواباً ، ويجمع ١ + ١ في

هدوء ، وتظل بينيلوبي تلاحظه برهة]

بينيلوبي : أتظنى بلهاء للغاية يا أبى ؟

جولاييتلى : نعم يا عزيزتى .

بينيلوبي : لماذا ؟

جولاييتلى : أنت تُعدين لديكى من جديد أكلة فراولة

مثلجة لا تتغير .

[تذهب بينيلوبي إلى أبيها ، وتجلس تجاهه ،

وتأخذ القلم من يده]

بينيلوبي : دع هذا القلم يا أبي ، وخبرني ماذا تعني
جولايتلي : [يضم يديه ، ويميل بمقعده إلى الخلف]
كيف ستحتفظين بحب زوجك بعد أن
استعدته الآن ؟

بينيلوبي : [بإيماءة وابتسامة] لن أضايقه قط
بإظهار دلائل الحب ، ولن أسأله أبداً عما
إذا كان يحبني ، ولن أسأله قط عن موعد
رجوعه كلما خرج .

جولايتلي : [في هدوء] وماذا ستصنعين فيما إذا
ارتمت عليه الأرملة الغضة الحسنة التالية ؟
بينيلوبي : [أقرب إلى الثورة لمجرد الفكرة] آمل أن
يخفض رأسه ويتفادها .

جولايتلي : [يهز كتفيه بقصد الاعتذار] أخبرتك
أملك ، استناداً إلى معرفتها المنقطعة النظر
بالشعوب الوثنية ، أن الرجل حيوان
مزواج بطبعه .

السيدة جولايتلي : لن أغتفر لنفسى ذلك قط .
بينيلوبي : أتعني أنك تتوقع من ديكى أن يغازل ،
نصف دسته ، من نساء مختلفات ؟

جولايتلي : لست أرى إلا وسيلة واحدة لتفادى ذلك .
بينيلوبي : وما هي ؟

جولائتلى : كوني أنت نصف دسته من نساء مختلفات .

پينيلوپي : هذا يبدو مرهقاً جداً .

جولائتلى : لا تنسى أن الرجل صياد بطبعه ، ولكن كيف يستطيع الفرار إذا كنت ترتمين طوال الوقت في حضنه ؟ فحتى الدجاجة تسمح لأليفها الشرعى بمبارحتها ليتزود .
[تنقل پينياوپي نظرها من أبيها إلى أمها ، وتطلق زفرة قصيرة]

پينيلوپي : كم كان من السهل على أن أحبه وأجله وأطيعه ! وكم كان ذلك ممتعاً ! ولكن لم يخطر ببالى أنه كان على مراقبة مشاعرى .

جولائتلى : كلنا نجاهد في سبيل السعادة ، ولكن ماذا تكون السعادة لو أنها تشبث بنا تشبث أحد أقربائنا الفقراء ؟

پينيلوپي : [توىء برأسها] فراولة مثلجة للإفطار ، فراولة مثلجة للغداء ، وفراولة مثلجة مع الشاي .

جولائتلى : لو أنك علقت بالحائط لوحة للرسام رامبرانت لمررت بها بعد أسبوع واحد دون أن تلتفتى إليها .

پینیلوپی : [تمديد يديها متوسلة] أبى ، لا تحطمنى
باستعاراتك .

جولائتلى : [بابتسامه] حسناً ، إنك أرخصت
حبك حتى جعلته زهيداً جداً يا عزيزتى ،
كان عليك أن تدعى زوجك يستجديك
الحب ، ولكنك جعلت من حبك سلعة
بائرة . احرصى على ثروتك ولا توزعها
إلا بمقدار ، واجعلى من نفسك حصناً
يجب أن يفتحمه زوجك كل يوم من
جديد . وإياك أن تدعيه بحسب أنه استأثر
بقلبك كله ، إذ يجب أن يظن دائماً أن فى
قرارة نفسك جوهرة باهظة الثمن فوق
متناوله .

پینیلوپی : أتعنى بذلك أن أظل دائمة الحيطه ؟
جولائتلى : المرأة الحكيمة لا تمكن زوجها قط من أن
يطمئن إليها كل الاطمئنان . ففي اللحظة
التي يبلغ فيها هذا الاطمئنان الكامل يلبس
كيوييد قبة عالية ، وينقلب إلى حارس
كنيسة .

پینیلوپی : [بصوت أبح] أتظن الأمر يساوى كل
هذا العناء ؟

جولايتلى

: هذا سؤال لا يستطيع غيرك الإجابة عليه .

پينيلوپى

: أحسبك تعنى أن الأمر يتوقف على مقدار

حبي لديكى . [تتوقف فترة ، وتستأنف القول

بصوت مرتعش] إني أحبه من صميم قلبي ،

وإذا كنت أستطيع الاحتفاظ بحبه

فلا شيء يغلو في تلك السبيل . [تريح

وجهها فوق يديها ، وتشخص ببصرها إلى أمام ،

ويمتلئ صوتها دموعاً] ولكن لم لا نستطيع

يا أبى أن نعيد سيرتنا الأولى عندما كان

كل منا يهوى صاحبه دون تفكر في حكمة

أو تبصر ؟ ذلك كان الحب الحقيقى ،

فلم لم يدم ؟

جولايتلى

: [بحنان] لأنك لست أنت وديكى إلا زوجا

وزوجة يا عزيزتى .

پينيلوپى

: [تعاودها ومضة من تفكيرها القديم] ولكن

لصديقتى أزواجاً ، وهم لا يغازلون كل

امرأة جميلة يصادفونها .

جولايتلى

: ما أشبه هؤلاء بـ « سيليا » و« شاربيديس »

والضريبة التى يؤدونها هى الشبع . فهل

تفضلين مكابدة ذلك الفتور الهادى الذى

يكابده كل تسعة أزواج من عشرة ، أم

بقاء ديكى محباً لك حباً حاراً إلى آخر
أيامه نظير بذلك قليلاً من التعب ، وقليلاً
من الفطنة ؟

بينيلوبي : [بغمزة خبيثة] ولكن لا يبدو عليك
أنت وأنى دليل على أن كلا منكما قد سُم
صاحبه وضاق به ذرعاً .

جولائتلى : أملك التقية ظلت تخوننى بانتظام طوال
عشرين عاماً .

السيدة جولائتلى : تشارلز !

جولائتلى : كانت لها قصة حب مع « جمعية الكهنة
الإضافيين » ، ومغامرة مع « إرسالية
الكنيسة الإنجليزية » ، وقد غازلت « جمعية
العلم المسيحية » ، وكانت تغمز بعينها « للعلاج
بالأدوية المجانية للمرضى » ، وارتبطت
« بالنباتية » ارتباطاً ترك في وجهها
أثراً واضحاً ، فكيف أعشق امرأة على
مثل هذا الغى ؟

السيدة جولائتلى : [مداعة] إنها لكبيرة منك يا تشارلز أن
تؤتبنى بينما ظلت أنت سنوات عديدة ولك
« حريم » من الرموز الجزرية .

بينيلوبي : [ترفع يديها في اشمزاز مفتعل] وأنا التى لم

- أدرك أبداً مبلغ ما عليه أبواي من فساد !
جولائتلي : [يرت على يد زوجته] أظن أننا لا بد
أن نكون الزوجين السعدين يا عزيزتي ،
فقد مضى على زواجنا عشرون عاماً . .
- بينيلوبي : [تقاطعه] اجعل المدة ربع قرن يا أبي ،
فلا يمكن أن أبدو أقل من بنت أربعة
وعشرين عاماً .
- جولائتلي : [لزوجته] ويبدو أننا عشنا سوياً على
وفاق ، أليس كذلك ؟
- السيدة جولائتلي : [بحنان] كنت لي زوجاً طيباً يا عزيزي
تشارلز .
- جولائتلي : لقد سعدنا في الجبل معاً . .
- بينيلوبي : شش ! شش ! شش ! لا أستطيع أن
أسمح لأبوي أن يتغازلا في حضوري .
إني لم أسمع بمثل هذا قط .
- جولائتلي : نقدم اعتذارنا .
- بينيلوبي : [تسمع صوتاً] اسمع . إنه ديكى . يا
أبي — قل لي بسرعة ماذا يجب أن أصنع
لأحمله على حبي دائماً ؟
- جولائتلي : باختصار . نغصني عليه حياته .
- بينيلوبي : [متحيرة] آه لو تعلم كم أود أن أرتمي

في أحضانه وأنسى الماضي التعس !
جولايتلى : لا تفعل ذلك ، ولكن أخبريه أنك
ستقومين برحلة في سيارة .

بينيلوبي : [مبتسمة] لنفرض أنه تركنى أرحل ؟
جولايتلى : يا عزيزتى إن الأقدار الرحيمة منحتك
عينين خبيثتين ، ولساناً حاداً ، فاستعملها .
السيدة جولايتلى : تشارلز ، سأحمد الله يوم تعود إلى
رياضياتك . فإن أخلاق هذه الفاجرة
« س » بلغت من السوء مبلغاً لا تستطيع
أن تزيد .

بينيلوبي : الواقع يا أبى أن لك - بوصفك مرشداً
للشباب - آراء متقدمة نوعاً .

جولايتلى : [بحركة مسرحية غريبة] أيتها الطفلة الناكرة
للجميل ! ! وأنا الذى وهبتك قلبى ،
كالبعج ، لتغذى عليه .

[يدخل ديكى ، وقد بدا عليه شيء من الارتباك
وعدم الاطمئنان]

ديكى : أستطيع الدخول ؟

بينيلوبي : نعم ، تفضل !

ديكى : [ينحنى برأسه لجولايتلى] كيف حالك ؟

جولايتلى : [لزوجته] أنت مستعدة للانصراف ؟

السيدة جولايلى : [تهم بالوقوف] نعم .
ديكى : أرجو ألا أكون السبب فى انصرافكم .
جولايلى : أوه ، لا . فإننا جئنا لنمكث عشر دقائق
فقط حتى نودع بينيلوپى .

[يلقى ديكى على بينيلوپى نظرة سريعة وقد
حيره هذا القول نوعاً]

ديكى : أنت . . . ؟ [ويتوقف عن الكلام]
جولايلى : أرجو يا عزيزتى أن تستمتعى بالرحلة .
بينيلوپى : أوه ، أنا واثقة من ذلك .
السيدة جولايلى : وداعاً يا عزيزتى .
بينيلوپى : [تقبل . أمها] وداعاً .
[تتجه إلى الجرس وتدق]

جولايلى : نستطيع أن نجد طريق الخروج وحدنا ،
فلا تهتمى باستدعاء بيتون .
بينيلوپى : أريد محادثتها .

جولايلى : أوه ، فهمت [يحنى رأسه لديكى] وداعاً .
[يخرج جولايلى وزوجته . وتضطجع بينيلوپى
على المقعد المستطيل وهى تبسم ابتسامة خفيفة ،
وتتناول إحدى المجلات ، ولا تميز ديكى التفاتاً ،
فيحدها بنظرة جانبية ، ويسوى ربطة عنقه فى
المرآة . تدخل بيتون]

بينيلوپى : [رافعة نظرها من المجلة] بيتون ،

تستطيعين أن تضعي لي بعض حاجيات
السفر في حقيبة الدكتور المفرطحة الصغيرة
وضعي كذلك ثوبي الشرميز الأخضر .

بيتون : حسناً يا سيدتي .

بينيلوبي : وتستطيعين استدعاء عربة بعد نصف
ساعة .

بيتون : حسناً يا سيدتي . [تخرج]

ديكي : أنت راحلة ؟

بينيلوبي : أوه ، نعم . ألم أخبرك بذلك ؟

ديكي : [بجفاء] لا .

بينيلوبي : ما أغباني ! المسألة أنني كنت أتوقع قضاء

يومين أو ثلاثة أيام في باريس مع أدا ،
فرتبت القيام برحلة مع أسرة هندرسون
إلى كورنوال .

ديكي : ولكني عدلت عن رحلة باريس لثلاث
أضايقتك .

بينيلوبي : [منسمة] ما كانت رحلتك لتضايقني
قط يا حبيبي .

ديكي : كان يجب أن تضايقتك .

بينيلوبي : أخشى على أية حال ألا أستطيع التخلي
عن ارتباطي بأسرة هندرسون . . فقد

كونوا فريقاً صغيراً لنستطيع أن نلعب
البريدج في سهراتنا .

[يتوجه ديكى إلى بين ويجلس على المقعد
المستطيل بجوارها]

ديكى : اسمعى يا بين ، دعينا نصطليح .
بينلوپى : [بلطف زائد] ولكننا لم نتشاحن ،
أليس كذلك ؟

ديكى : [بابتسامة] لست أدرى أأريد أن أهزك
أو أضملك !

بينلوپى : حسناً ، لو كنت مكانك لما فعلت هذا أو
ذاك .

ديكى : [يتناول يديها] بين . أريد أن أحادثك جدياً .
بينلوپى : [تسحب يديها وتنظر إلى ساعة الحائط] أألدك
متسع من الوقت ؟

ديكى : بالله ماذا تقصدين ؟
بينلوپى : أنت تخرج عادة لزيارة السيدة ماك فى
وقت يقارب هذا .

[ديكى يقف ، ويذرع الغرفة ذهاباً وإياباً]

ديكى : [مصفاً] السيدة ماك ماتت .
بينلوپى : [تقفز من المقعد] ماتت ! ومتى الجنازة ؟
ديكى : لم يتحدد ميعادها بعد .

پینیلوپي : حسناً ، تستطيع أن ترسل الآن قائمة الحساب لأسرتها .

ديكى : [متفعلاً] بين ، لم يكن للسيدة ماك وجود قط .

پینیلوپي : [بابتسامة] لم يخطر لي يا عزيزى أبداً أنها كانت موجودة .

ديكى : ماذا ! [تضحك بنيلوبى ساخرة] أتقصدين أن تقولى إنك كنت تعرفين طوال الوقت أنى اخترعتها ؟

پینیلوپي : إنى رأيت فى اختلاقلك عذراً مقبولاً لطول غيابك تصرفاً لطيفاً منك .

ديكى : كنت تستغفلىنى إذن عند ما اشتريت تلك الأشياء جميعها بزعم أنى أكسب ذلك القدر الكبير من المال .

پینیلوپي : [يتوقف] وبعد . . .

[ينفجر ديكى ضاحكاً ضحكاً عالياً]
ديكى : اسمعى ، لقد انتصرت علينا . أقسم أنك امرأة لطيفة مدهشة . ولست أعرف أية ميزة رأيتها فى أدا فيرجسون !

پینیلوپي : أوه ، ولكنى أحسبها ظريفة .

ديكى : يا للهراء ! أنت عليمه بأنك لا تحسبها

كذلك . آه لو تعلمين أية حياة أذاقتني !
بينيلوبي : أظن أنها كانت تسألك غالباً عما إذا كنت
تحبها حقيقة ؟

ديكى : عشر مرات فى اليوم الواحد .
بينيلوبي : وهل كانت تسألك عن موعد عودتك
بالضبط كلما فارقتها ؟

ديكى : كيف عرفت ذلك ؟
بينيلوبي : حزرت .

ديكى : [يتجه إليها وكأنه يحاول احتضانها] آه ،
يا بين ، دعينا ننسى ونغفر ؟

بينيلوبي : [مبتعدة عن طريقه] ليس هناك ما نغفره
يا حبيبى .

ديكى : [يخطو صوبها خطوة] أظنك تريدنى
أن ألعق التراب .. إني سلكت
سلوك وحش سافل ، وآسف على ذلك
كل الأسف ، ولن أعود لمثله أبداً .

بينيلوبي : [تتحاشاه متظاهرة بأنها غير متعمدة] لعل
المسألة لا تستحق هذا العناء .

ديكى : [يحاول أن يعترضها] لا نتحدثى عنها .
بينيلوبي : [تظل بعيدة عن متناوله] وكنت أتوهم أنك
تقضى وقتاً ممتعاً جداً .

- ديكى : كنت أشعر شعوراً مؤلماً بتأنيب الضمير .
- پينيلوپي : هذا هو ما يمتاز به النساء على الرجال ،
- ديكى : فإن ضميرهن لا يؤنبهن إلا يوم يفقدن
- پينيلوپي : رشاقتهن ورونقهن .
- ديكى : [بابتسامة] ولكن ماذا يدعوك إلى الجرى
- پينيلوپي : حول الغرفة على هذا النحو المضحك ؟
- ديكى : ظننت أننا نلعب لعبة « المس أخيراً »
- پينيلوپي : لا تكونى قاسية يا بين . فأنت تدرين أنك
- ديكى : تحبيننى ، وأنى أهم بك هياماً . . . ولست
- پينيلوپي : أستطيع أن أصنع شيئاً فوق ما صنعت .
- ديكى : وماذا تريدنى أن أفعل ؟
- پينيلوپي : أريد منك تقبيل ومصالحتي .
- پينيلوپي : [فى لطف بالغ] أظنك تتعجل بعض الشيء ،
- ديكى : أليس كذلك ؟
- پينيلوپي : أظن أنك تفكرين فى أدا فيرجسون .
- ديكى : أعترف بأنها لم تغب عن خاطرى كلية .
- پينيلوپي : سحفاً لأدا فيرجسون !
- پينيلوپي : أظن أن فى هذا العقاب شيئاً من العنف ،
- ديكى : فهى على أية حال لم تفعل شيئاً إلا إذعانها
- پينيلوپي : لفتنتك التى لا مهرب منها .
- ديكى : حسناً ، ألقى بعبء اللوم كله على أكتافى .

وكأن الرجال هم الذين يحرون وراء النساء
في تلك المناسبات ! أنا لا أريد أن أراها
ثانية .

بينيلوبي : كم أنت متقلب !
ديكي : [يتجه صوبها بلهفة] أنا لن أتقلب ثانية .
لقد تلقنت درسي . وسأكون مستقيماً
في المستقبل .

بينيلوبي : [تضع كرسيّاً بينها وبينه] ألا تظن أن من
الأفضل ، على أية حال ، أن تتخلص
من حبك القديم قبل البدء بحبك الجديد؟
ديكي : نعم ، ولكن يمكنك أن تعاونيني .
بينيلوبي : لا أحسبك تريدني مثلاً أن أخبر أدا
فيرجسون أنك لم تعد تحبها ؟
ديكي : إنه لمخرج للمرء جداً أن يقول شيئاً كهذا
بنفسه .

بينيلوبي : أستطيع أن أدرك أن أهدأ النساء طبعاً
تقابل ذلك بشيء من الاستياء .
ديكي : اسمعي ، ألا تستطيعين أن تشيرى بشيء
لتنشطيني من هذه الورطة ؟
بينيلوبي : [وهي تهزكتفيها] يا عزيزي ، ليس

هناك منذ أيام « أريادنى »^(١) غير طريقة
مرضية واحدة لمواساة الغادة المهجورة .

ديكى : [وهو يقفز] خالنا دافينبورت !

بينيلوپى : ما لخالى دافينبورت ؟

ديكى : أخبرنى أمس أنه يراها امرأة رائعة جداً .

بينيلوپى : أوه ، لا يا ديكى : أنا لا أسمع لك
بتضحية خالى الوحيد .

ديكى : سأطلبه على التليفون وأخبره بأنها لم تسافر
إلى باريس .

بينيلوپى : لا يا ديكى . لا يا ديكى !

ديكى : [عند التليفون] ميفير ٧٥٢١ . أعدك

أنه لن يمسه أذى ، إذ سنخبره قبل
أن يتقلب الأمر جداً بأنها ليست من أسرة
جونز أوف لاندودنو ولكنها من أسرة
جونز أوف نوتنج هيل جيت .

بينيلوپى : [بضحكة ساخرة] لا أظن ما تفعله تصرفاً
لطيفاً .

ديكى : أظن أنه شنيع ، وسألوم نفسى عليه كثيراً
بعد ذلك .

(١) ابنة مينوس ملك كريت .

پینیلوپ
دیکی

: یوازې من احساسك بالفضيلة أيضاً .
: هاللو ، أستطيع مخاطبة مستر بارلو ؟
أهو أنت يا خالي دافينپورت ؟ لا ، أنا
لم أذهب إلى باريس رغم اتفاقى السابق
[بغزة عين لپینیلوپ] أصيبت السيدة
مالك بنكسة مفاجئة ، ولم يعد نقلها ممكناً .
لا ، كذلك السيدة فيرجسون لم تسافر .
[تدخل پیتون]

پیتون

: السيدة فيرجسون في غرفة الاستقبال
يا سيدتى .

دیکی

: [يتحدث بصوت منخفض في التليفون] ماذا !
... نصف دقيقة ... لا تقطع المكالمة .

پینیلوپ

: كنت أتوقع حضورها طوال بعد الظهر ،
أطلبى إليها أن تصعد إلى هنا إذا لم تجد
مانعاً .

پیتون

: سمعاً وطاعة يا سيدتى .

دیکی

: لا بد مما ليس منه بد [في التليفون]
هاللو لماذا لا تأتى إلينا ؟ السيدة فيرجسون
عند بن في زيارة ، وتستطيع بذلك أن
تتفق معها على تناولكما الغداء معاً ...
حسناً . إلى اللقاء ... اسمعى ، سأهرب
الآن .

- بينيلوبي : يا جبان !
- ديكى : [يتظاهر بعزة النفس الشديدة] أنا لست جباناً
- يا بينيلوبي . سأعود بعد دقيقتين . ولكنى
- ظمان ، وسأتناول كأساً من البيراندى
- مع الصودا .
- ديكى : سحقاً لهذا كله . لا داعى لأن تضنى على
- بقيلة واحدة .
- بينيلوبي : [مبتسمة] انتظر حتى تتخلص من حبك
- القديم يا صديقى .
- ديكى : أظن أن الأمر يتجاوز الحد قليلا عند ما
- يمنع الرجل من تقبيل زوجته الحبيبة .
- بينيلوبي : ستقبلنى فيما بعد ، إذا حسن مسلكك .
- ديكى : ها هي ذى توشك أن تحضر ، من حسن
- الحظ أن يكون لهذه الغرفة بابان !
- [يخرج . وتهض بينيلوبي ، وتتطلع فى المرأة ،
- وترتب خصلة شاردة من شعرها ، وترش بعض
- البودرة على أنفها . تدخل أدا فيرجسون]
- بينيلوبي : [تقبلها فى حرارة] يا أعز الأعزاء . .
- أرجو ألا يكون الصعود بك إلى هنا قد
- سأءك .
- السيدة فيرجسون : لا بالطبع . فأنا أحب هذه الغرفة ،
- وكنت أعتقد دائماً أنها هي المكان الذى

يصلح بالضبط لحديث القلب للقلب .

بينيلوبي : ما أطف هندامك !

السيدة فيرجسون : أيروقك ثوبي ؟

بينيلوبي : كنت أرى دائماً أنه يلائمك كل الملاءمة .

السيدة فيرجسون : [بمرارة] أنا ألبسه لأول مرة .

بينيلوبي : أوه ، أظن إذن أنني رأيت أناساً آخرين يرتدون أمثاله .

السيدة فيرجسون : لعلك ترين أنني أكثر من المحبىء هنا يا عزيزتى .

بينيلوبي : أنت تعلمين أنني وديكى نسر دائماً ببقياك

السيدة فيرجسون : هل الدكتور أوفاريل موجود ؟ أردت أن أسأله عن شيء خاص بالدواء الذى وصفه لى أمس .

بينيلوبي : والآن لا تقولى إنك حضرت لرؤية ديكى فقد كنت آمل أن حضورك كان لرؤيتى .

السيدة فيرجسون : أردت أن أضرب عصفورين بحجر واحد بينيلوبي : هذه رمية محكمة يرتاح لها المرء دائماً .

السيدة فيرجسون : نسيت ما إذا كنت قد قلت لى إن الدكتور أوفاريل موجود .

بينيلوبي : اسمعى ، أظنك الشخص الوحيد الذى

لم يناده باسم ديكى بعد أن عرفه لمدة عشر دقائق فقط .

السيدة فيرجسون : إذا ناديت به هذا الاسم فقدت ثقتى فيه بحسبانه طبيياً .

بينيلوبي : أنا نفسى لا أتداوى عنده ، بل أذهب دائماً إلى الدكتور روجزر .

السيدة فيرجسون : ولكنك تبدين كأنك فى صحة موفورة يا عزيزتى .

بينيلوبي : أوه ، أنا إنما ألح بالجهد و أن أقف على رجلى توفيراً لنفقات الجنازة .

السيدة فيرجسون : هل الدكتور أوفاريل بصحة جيدة ؟
بينيلوبي : متعب .

السيدة فيرجسون : [حائرة فى السبب] أوه ؟
[فترة صمت قصيرة]

السيدة فيرجسون : أظن أنه ليست لديك أية فكرة عن موعد عودته ؟

بينيلوبي : لم أكن أعلم أنه خرج .

السيدة فيرجسون : أوه ، أستميحك عنراً . ظننتك قلت إنه غير موجود .

بينيلوبي : لا .

السيدة فيرجسون : لا بد أنى أسأت فهم كلامك .

بينيلوبي : أظنه يرقد الآن . ولا غرابة فقد ظل ليلة

أمس مع السيدة ماك المسكينة حتى
الساعة الثانية عشر .

السيدة فيرجسون : [برجة خفيفة] أكان هناك ؟

بينيلوبي : من المؤسف أن تصاب بنكسة بعد أن بدا

أن صحتها تحسنت كل التحسن .

السيدة فيرجسون : [حائرة ، ولكنها تحاول إخفاء حيرتها]

لا أستطيع التعبير عن حزني لهذا الخبر .

بينيلوبي : ولا بد أن الأمر ضايقك كل المضايقة.

بعد أن أعددت كل شيء للسفر إلى
باريس .

السيدة فيرجسون : أوه ، أنا لم أفتر بالطبع في راحتي قط .

بينيلوبي : يقول ديكى إن طريقة تمريرك لما لا

يوفيها المديح حقها .

السيدة فيرجسون : أظن أن من واجبنا في هذه الحياة أن

يعاون بعضنا بعضاً على قدر إمكانه وأنا لم

أقم إلا بواجبي .

بينيلوبي : قليل منا من يفعل ذلك .

السيدة فيرجسون : عند ما أذكر أن زوجي يخدم وطنه

بشجاعة في بلد غريب أشعر بأن من

واجبي القيام بكل ما أستطيع لمساعدة الآخرين .

[بينيلوبي تغمر لنفسها متألمة]

بينيلوبي : أكنت هناك عند ما انتهى الأمر ؟

السيدة فيرجسون : [دهشة] أى أمر ؟

بينيلوبي : أتعين أنك لا تعرفين ما حدث ؟

السيدة فيرجسون : بينيلوبي ، ليست لدى أية فكرة عما تقصدين .

بينيلوبي : ولكن ديك قضى عند السيدة ماك هذا الصباح بطوله .

السيدة فيرجسون : هذا غير معقول .

بينيلوبي : يدهشني أنهم لم يستدعوك .

السيدة فيرجسون : ولكن . . .

[تتوقف عن الكلام غضباً ودهشة]

بينيلوبي : أنت إذن لا تعرفين حقاً ؟

السيدة فيرجسون : [يأس] أنا لا أعرف شيئاً .

بينيلوبي : يا عزيزتي أدا المسكينة ، يربكني أن

أضطر إلى أن أصدملك هذه الصدمة

المريرة كل المرارة . السيدة ماك - ماتت

السيدة فيرجسون : ماتت !

بينيلوبي : نعم ماتت بين ذراعي ديكى ، شاكرة له

كل ما بذل في سبيلها .

السيدة فيرجسون : مستحيل !

بينيلوبي : لا يدهشني أن تقولى ذلك ، فقد كانت

تتوثب حيوية منذ يوم أو يومين . . .
أجلسى يا عزيزتى . أنت مضطربة كل
الاضطراب . . . لقد كنت شديدة
التعلق بها ، أليس كذلك ؟

السيدة فيرجسون : ماتت !

بينيلوبي : لماذا لا تبكين شفاء لحزنك ؟ ألا تجدين

مندیك ؟ خذى هذا المنديل . إنه لأمر
محزن ، أليس كذلك ؟ . . . وبعد كل
ما بذلت فى سبيلها ؟ . . .

[السيدة فيرجسون تربت عينيها بمنديلها]

السيدة فيرجسون : [ترغم نفسها على أن تبدو طبيعية] إنها لصدمة
عنيفة .

بينيلوبي : آه ، أعلم ذلك ، وأشاطرك شعورك

يا عزيزتى . كان ديكى مخلصاً لها . وقد
قال إنه لم يعالج قط مريضة مثلها
[تضع منديلها على عينيها] ماتت وعلى
شفتيها ابتسامة ، وهى تذكر اسم
زوجها المتوفى . وقد تأثر ديكى إلى حد
أنه لم يستطع تناول غدائه . يا للفتى

المسكين ! ... وكنا سنشترى عربية
جديدة .

[يدخل ديكى ، ويقف عند الباب لحظة إذ
يبصر المرأتين تبكيان]

ديكى : ماذا جرى ؟
بينيلوبي : [بزفرة] نقلت الساعة النبأ لأدا المسكينة .
ديكى : أى نبأ ؟
بينيلوبي : لم تكن تعلم أن السيدة ماك - لم يعد لها
وجود .

السيدة فيرجسون : [تحاول أن تخفى غيظها وحيرتها] لم أكن
أعلم ذلك بالتأكيد !
بينيلوبي : كان عليك أن تخبرها بالأمر يا ديكى .
فلا بد أنها كانت تود حضور الوفاة .

ديكى : أردت أن أوفر عليك هذا المشهد .
السيدة فيرجسون : هذا عطف كبير منك .
ديكى : كنت أعرف أن هذا قصده ، فلديكى
قلب روئوف .

السيدة فيرجسون : [بغيظ مكظوم] لاحظت ذلك من قبل .
بينيلوبي : [لزوجها] وكنت شديد التعلق بها ،
أليس كذلك ؟
ديكى : كنت أعدها صديقاً حقيقياً .

پینیلوپ : . قلت لأدا إنها لفظت روحها بين ذراعيك
يا حبيبي .

ديكي : وعلى ثغره ابتسامة .

پینیلوپ : هذا ما قلته بالذات . ماتت وهي تغتم
باسم زوجها الذي توفي منذ أربعين عاما .
ما اسمه الذي ذكرته لي يا ديكي ؟

ديكي : ووكر يا حبيبي .

پینیلوپ : حدث أدا تفصيلا ، فهي تريد سماع
التفاصيل .

ديكي : طلبت أن يبلغوك سلامها ، وقالت إنها
تهدي مودتها لزوجك .

پینیلوپ : يبدو أنها فكرت في كل شيء . لا بد من
أن تحضر الجنازة يا ديكي .

ديكي : نعم ، فأنا أود أن أظهر هذا الدليل على
احترامي لها .

پینیلوپ : [للسيدة فيرجسون] ألا تودين تناول
كأس من الشيري يا عزيزتي ؟ فأنا أراك
شديدة الاضطراب .

السيدة فيرجسون : الـ — خبر فاجأني مفاجأة .

پینیلوپ : الحق أتى توقعته مساء أمس ، ولكنني
أنهم إنفعالك حق الفهم .

السيدة فيرجسون : أنا مقدرة لمواساتك كل التقدير .

بينيلوبي : سأذهب لأحضر لك بعض الشيرى بنفسى

ديكى : أوه ، دعينى أحضره أنا .

بينيلوبي : لا ، ابق مع أدا يا حبيبى ، فان لك

طريقة عجيبة فى مواساة المكروبين .

ديكى : [نسجاً] تحتاج المرأة فى مثل هذا

الظرف لامرأة مثلها لتواسيها .

بينيلوبي : [تحول دون تحركه] لا ، فأنت تعرف

أن تقول ما يجب أن يقال بالضبط ، ولن

أنسى مواساتك اللطيفة لى عند ما أنذرتنا

آخر طاهية بأنها ستترك خدمتنا .

[تخرج . وتهب السيدة فيرجسون واقفة

على قدميها]

السيدة فيرجسون : والآن ؟

ديكى : عجباً ! جعلتنى أقفز بحق .

السيدة فيرجسون : ما معنى هذا كله ؟

ديكى : . معناه أن السيدة ماك بشر فانية مثلنا جميعاً

وستقام الجنازة بغد غد فى كنزال جرین .

وليقبل أصدقائها هذا التبليغ بمثابة إعلان

لأنه لن ينشر إعلان غيره .

السيدة فيرجسون : كيف يمكن أن تموت السيدة ماك ! إنك

تعلم مثلاً أعلم أنا أن السيدة ماك لم يكن لها وجود في يوم من الأيام .

ديكى

: أقسم لك أن الشك في هذا بدأ يساورنى ،
فقد أكثرت من الحديث عنها إلى حد أنها
تبدو أقرب كثيراً إلى الحقيقة من — من
كشف حسابى فى البنك مثلاً . وبوسعى
أن أكتب عن حالها مقالاً ممتعاً فى مجلة
« لانسيت » .

السيدة فيرجسون : [محتمة غيظاً] أوه !

ديكى

: ولكن أذكرى أن العجوز المسكينة تعذبت
كثيراً فى حياتها ! جراحة بعد جراحة !
حياتها كانت غير جذيرة أن تحياها .
ولم يكن بد من أن تموت . وأنا أعد موتها
خلاصاً سعيداً مبهجاً .

السيدة فيرجسون : أين كنت الليلة الماضية ؟

ديكى

: كنت عند السيدة ماك — لا ، لم أكن
بالطبع عندها . لقد اعتدت أن أقول هذه
العبارة إلى حد أنها أصبحت تفلت منى
عفواً . . . أنا آسف كل الأسف .

السيدة فيرجسون : كيف يمكنك أن تقول لى مثل هذه
الأكاذيب ؟

ديكى : لست أدرى . يبدو أن الأمر بسييله لأن
يصبح عادة .

السيدة فيرجسون : أوصيك أن تحتفظ بأكاذيبك لينيلوبى .

ديكى : أحسب إذن أنك ترين أنها لا تهتم ؟

السيدة فيرجسون : أوه . إنها زوجتك . فالمسألة تختلف .

ديكى : فهمت .

السيدة فيرجسون : ماذا تقصد بقولك : فهمت ؟

ديكى : كان هذا هو الجواب الوحيد الذى خطر
ببالى فى هذه اللحظة .

السيدة فيرجسون : أنا واثقة من أنك تقصد به أمراً ما .

[تدخل بيتون بوعاء عليه كأسان من النبيذ
وقنينة . يتوقفان عن الكلام متى تخرج]

ديكى : هل لك فى كأس من الشيرى ؟

السيدة فيرجسون : لا .

ديكى : حسناً . أظن أنى سأتناول كأساً إذا كنت

لا تمنعين . [يملأ لنفسه كأساً] يبدو

لى أن الشيرى بدأ يصبح مشروب العصر
من جديد .

السيدة فيرجسون : أبدو لك ذلك ؟

ديكى : أعتقد دائماً أو أوتيت القدرة على جعل

نفسى مرحاً وقت الشدائد . [يشرب كأساً]

من الشرى ليتشجع [اسمعى ، أريد أن أقول
لك كلاماً أخشى ألا يسرك سماعه كثيراً ،
ولعلك تظنيننى وحشاً فظيعاً ، ولكنى
مضطرب إلى قوله] لا تحير السيدة فيرجسون
جواباً ، ويواصل حديثه بعد فترة صمت [
(الواقع أنى لم أخلق منافقاً دساساً
فهذه الأكاذيب جميعها تضايقنى جداً .
ولست أحب أن أعتقد أنى أسىء معاملة
بينيلوبى . [فترة صمت أخرى] ومن الخير
أن أفضى لك بالحقيقة كلها الآن .
ولقد تبينت أنى أحب بينيلوبى حباً طاعياً .

السيدة فيرجسون : [هادئة] وبعد ؟

ديكى : [فى شىء من الدهشة] لا شىء بعد .

السيدة فيرجسون : وكيف تتصور أن ذلك يهمنى ؟

ديكى : [شديد الارتباك] ظننت - ! . . . !

[تنفجر السيدة فيرجسون فى قهقهات متتالية .

يهت ديكى ، وينظر إليها فى دهشة]

السيدة فيرجسون : إنك لم تتوهم أنى كنت أحبك فى يوم من
الأيام ؟

ديكى : [محاولاً تفسير الأمر] لا ، لا

فالرجل الذى يخال المرأة تهيم به حباً هو
حمار مغرور طبعاً .

السيدة فيرجسون : إنك سلبتني يوم رأيتك أول مرة ، ولكن
هذه التسلية انتهى أمرها منذ أمد طويل .

ديكى : إنه تطف منك أن تقولى هذا .

السيدة فيرجسون : كان يلائمنى أن أجد من يخدمنى وأنا
امرأة كلى أنوثة

ديكى : ولا تعرفين التصرف بنفسك .

السيدة فيرجسون : إنك سبيت لى طوال هذا الشهر سأمأ قاتلاً
وقد بذلت كل ما أستطيع لأظهر لك
ذلك ، ما عدا مصارحتك به .

ديكى : أخشى أننى كنت بليد الفهم جداً .

السيدة فيرجسون : بليد الفهم إلى حد مفرع . .

ديكى : ولكنه كان لطيفاً منك أن ترعى شعورى

السيدة فيرجسون : [بابتسامة لطيفة] ألا ترى أنه من الوقاحة

أن أصفك بنفس كلماتك ، وهى أنك

حمار مغرور ؟

ديكى : قد يجعل هذا علاقتنا المستقبلية رسمية

نوعاً .

السيدة فيرجسون : لن تكون بيننا علاقة مستقبلية .

ديكى : ليس هناك إذن قول بعد هذا يقال .

[تندفع السيدة فيرجسون صوب الباب . ثم تتوقف]

السيدة فيرجسون : أتحبك بينيلوبي ذلك الحب الأعمى الذى أحبيتك به يوم رأيتك لأول مرة ؟

ديكى : إني أظن بأنها تحبني بقدر ما أحبا .
السيدة فيرجسون : ماذا صنعت بالرسائل التى كنت أكتبها إليك ؟

ديكى : صنعت بها ما اتفقنا عليه . أحرقتها فى الحال .

السيدة فيرجسون : ولكنى لم أفعل مثل ذلك بخطاباتك ، فقد احتفظت بها .

ديكى : لم يكن يخطر ببالى أنها تهلك إلى هذا الحد .

السيدة فيرجسون : يخيل إلى أن بينيلوبي مستجدها ممتعة جداً

ديكى : ولماذا لا ترسلينها إليها ؟

السيدة فيرجسون : أظن أنى سأفعل ذلك ، إذا لم يكن لديك اعتراض .

ديكى : لن تخبرها هذه الرسائل . لم يد .

السيدة فيرجسون : [تعود من الباب فرعة] أنت لا تعنى أنك أخبرتها بالأمر ؟

ديكى : كلا بالطبع .

السيدة فيرجسون : ماذا إذن ؟

ديكى : كانت على بينة طوال الوقت .

السيدة فيرجسون : على بينة مم ؟

ديكى : مني الأمر كله منذ أوله .

السيدة فيرجسون : [مرتبة] وكيف اكتشفته ؟

ديكى : علم ذلك عند الله وحده .

السيدة فيرجسون : إنها مصيدة ! كان على أن أعرف أنها

ليست بلهاء كما كانت تبدو . لقد أرادت

طلاقك فاتخذت مني وسيلة لذلك . إن

زوجي لن يسكت على هذا .

ديكى : أستطيع أن أدرك أنه حتى أشد الأزواج

حبا لزوجته لا يسمح بتجاوز هذا الحد .

السيدة فيرجسون : أوه ، لا تحاول الآن أن تهزل .

ديكى : لا فجانب الهزل في المسألة لم يحن بعد .

السيدة فيرجسون : ماذا ؟

ديكى : حسناً ، لا داعي لأن تضطربني لهذا الأمر ،

فان ينيلاوني لن تقدم على شيء . . .

السيدة فيرجسون : إذن فلماذا . . . ؟

ديكى : [بهزة من كتفيه] إنها لا تهتم قليلاً .

السيدة فيرجسون : لست أفهم .

ديكى : ألا تفهمين ؟ الأمر بسيط جداً فالمسألة

في نظرها لا أهمية لها . لقد سرها أني

تسلّيت .. ولكن آه لو علمت مقدار التسلية
التي استمتعت بها ! إنها تنظر إلى الأمر
على أنه أشبه بـ . . . بتغيير الهواء .

السيدة فيرجسون : [حانقة] أوه ! أوه ! أوه ! .. أظنه
أشبه بتمضية أسبوعين في لعبة الجولف
على شاطئ البحر .

ديكي : شيء أشبه بهذا .

السيدة فيرجسون : أفضل لو أنها طلقتك .

ديكي : شكراً . ولكني لا أفضل هذا .

السيدة فيرجسون : أوه ، يا للمذلة ! ! لم أكن إلا مجرد أداة

بينما كان لديها ما هو أهم . إن هذا يجعل

المسألة كلها خسيصة ! . . . تصور أنني

كنت أصبو إلى مغامرة شاعرية ! . . .

إنني لم أكن لأطلع إليك لولا اعتقادي

أنها هائلة بك .

ديكي : يخيل إلي أن العلاقات الغرامية التي من هذا

القبيل لا تبدو شاعرية إلا حين تقع

للآخرين ، أما إذا وقعت للمرء نفسه —

حسناً ، فكلية « خسيصة » هي النعت

المناسب لها .

السيدة فيرجسون : [تذكر فجأة] والسيدة ماك ؟

ديكى : عرفت بينيلوبى كل شىء عنها أيضاً .
السيدة فيرجسون : أتغنى أننا اليوم عند ما . . . ؟
ديكى : عند ما امتزجت دموعكما ؟ أظن أن
دموعها كانت هى ودموعك فى الصدق
سواء .

السيدة فيرجسون : ولقد استدرجتى للإدلاء بقول بعد قول .
ديكى : أظنها أفلحت فى استغفالننا كلينا .
السيدة فيرجسون : وكيف بالله أستطيع لقاءها الآن ؟
ديكى : ستكون فى حال طيبة . ستكون لطيفة كما
كانت دائماً .

السيدة فيرجسون : أيها الأبله ! ألا ترى أنها إذا نظرت معى
فذلك لاعتقادها أنها أجمل منى ، وأذكى
منى ، وأشد فتنة وإغراء ؟ إنها تمتنع حتى
عن احتقارى . . . إنها لا تبالى بى
[تتجه إلى المرأة وتتطلع فيها . وتقول بعنف]
تغير هواء .

[يفتح الباب ببطء ، وتدخل بينيلوبى ، وقد
ارتدت ملابس رحلة بالسيارة . تشفق السيدة
فيرجسون فجأة حين تراها ، وتدور بوجهها عنها .
تقف بينيلوبى فى مكانها هنية وتنظر إليهما متأملة ،
ويقوم ديكى دون هدف بترتيب أشياء موضوعة
فوق المنضدة]

بينيلوبي : [بابتسامة بائسة] لعل لم أزعجكما ؟

ديكي : لا

بينيلوبي : نعم ؟

ديكي : لا شيء .

[ترتعق السيدة فيرجسون فجأة على أحد المقاعد وهي تفتعج وتجهش بالبكاء مخفية وجهها بيديها ، تلتقي عليها بينيلوبي نظرة اندماش ، وتتجه إليها مسرعة ، وتنحنى عليها ويدها على كتفها]

بينيلوبي : [تكاد تحن عليها] ماذا ؟ أدموع حقيقية ؟

السيدة فيرجسون : [بصوت متعج] أشعر بأني هُزأه .

بينيلوبي : [بابتسامة خفيفة وكأنها تتخاطب طفلاً] لا ، تبكي .

السيدة فيرجسون : أنا أبعدو بلهاء بحق .

بينيلوبي : من المضجر أن تبدو خطايانا الصغيرة لدى افتضاحها طائشة بدلا من أن تبدو شريرة .

السيدة فيرجسون : لن أحترم نفسي بعد ذلك أبداً .

بينيلوبي : جففى دموعك يا عزيزتي ، فقد جاء خالي

دافينبورت الآن ، وهو يريد أن يعرف

أمن اللائق أن يدعوك إلى تناول الغداء

معه على انفراد .

السيدة فيرجسون : [بمسحة خفيفة من طريقها القديمة] كم هو

خفيف الظل . أود أن أتبادل معه حديثاً
قليلاً .

بينيلوبي : ستجدين مطعم كارلتون مكاناً مناسباً جداً
لذلك .

السيدة فيرجسون : أعيناي محمرتان ؟

بينيلوبي : أبداً . سأتيك ببعض البودرة .

[تتناول علبة البودرة من فوق إحدى المناضد ،
وترش السيدة فيرجسون بعضها على أنفها ،
وهي تفكر]

السيدة فيرجسون : يعجبني خالك . إنه في حديثه عن الدوقات
يذكرهن بأسمائهن دون أسماء أسرهن .
[تعلن بيتون قنوم بارلو وتخرج]

بيتون : مستر دافنبورت بارلو

[تسترد السيدة فيرجسون حالتها الطبيعية
استرداداً تاماً لدى دخوله]

بينيلوبي : [وهي تقبل خالماً] كيف حالك ؟

بارلو : [يتقدم بكياسة إلى السيدة فيرجسون] هذه

مفاجأة سارة كنت أحسبك في باريس .

السيدة فيرجسون : لا ، فإن حالة السيدة ماك ازدادت سوءاً
على حين فجأة .

بارلو : هذا من حسن حظي .

السيدة فيرجسون : ظريف منك أن تقول هذا ، ولكنى
سأغادر لندن توتاً على أية حال .

بارلو : ولكن هذا قرار فجائى جداً . ماذا
سنصنع هنا بدونك ؟

السيدة فيرجسون : عليك أن تلوم الدكتور أوفاريل .
ديكى : (مبهوتاً) أنا ؟

السيدة فيرجسون : قال لى لى الآن فى صحة جيدة تحتل
مناخ بلد غريب . ولا يوجد شىء بالطبع
يحملنى على البقاء ساعة واحدة بعيدة عن
زوجى ، إلا إذا كنت مرغمة على ذلك .

بارلو : ولكنى ظننته يحارب بشجاعة فى سبيل
وطنه .

السيدة فيرجسون : الواقع أنه لا توجد معارك يشتبك فيها
الآن . وقد استأجر منزلاً أنيقاً فى مالطه ،
وسأبدأ رحلتى إليه غداً .

بارلو : إن هذا يحزننى حزناً لا أستطيع وصفه
وهل سترحلين إلى مالطه رأساً ؟

السيدة فيرجسون : لا ، سأتوقف فى طريقى بباريس ، يوماً
أو يومين .

بارلو : ما أغرب هذا ! فقد أعددت نفسي أنا
أيضاً للسفر إلى باريس غداً .

السيدة فيرجسون : أفلا يضايقك إذن أن تعني بأمري أثناء
السفر ؟ فأنت تعلم إنني امرأة ، كلها
أنوثة ، وأشعر بالعجز التام حين أكون
في القطار وحدي .

بارلو : إنني أعد ذلك تمييزاً خاصاً لي ، ولعلنا
نحضر مسرحية أو مسرحيتين أثناء إقامتنا
هناك .

السيدة فيرجسون : هذا إذا وعدت ألا تذهب بي إلى أية
مسرحية مريبة .

بارلو : ها ، ها ، ها .

السيدة فيرجسون : [لينيلوي] والآن يا عزيزتي ، لا بد من
أن أودعك ، وأنا أخشى ألا نلتقي ثانية
إلا بعد فترة من الوقت .

لينيلوي : وداعاً .

[تقبل كل منهما الأخرى بشغف]

السيدة فيرجسون : [لديكي] وداعاً . وإذا سمعت عن عملية
رائحة في بورصة الأوراق المالية فأرجو
أن تلفتي إلي ذلك ، وأظن أنني سأسترد

ما خسرتَه بشراء أوراق جوهانسبورج
وأورشليم الجديدة .

بينيلوبي : سأفعل ذلك .

السيدة فيرجسون : [لبارلو] بالباب عربية تنتظرني ، فهل
أذهب بك إلى المكان الذي تريد ؟

بارلو : ذلك يكون تفضيلاً منك .

[تخرج مومته برأسها لديكى]

بارلو : [وهو يصافح بينيلوبي] إنها مخلوقة ظريفة

كم هي رائعة مهذبة كل التهذيب .

بينيلوبي : والآن ، إحدري يا خالى دافينبورت ،
إياك واللعب .

بارلو : يا عزيزتى ، ما أنا روح الشرف فحسب ،

ولكنى جاوزت الثانية والخمسين أيضاً .
[يخرج]

بينيلوبي : [وهو بسيل الخروج] أظن أن هذا يحمل
المرء فعلاً على التفكير الإفلاطونى .

ديكى : [يتنفس الصعداء] أوف . [تدور بينيلوبي إلى
المرأة لتصلح وضع قبعتها . ويلاحظها ديكى مبتسماً]
وبعد ؟

بينيلوبي : [تتظاهر بالدهشة] أستمحك عذراً ؟

ديكى : إنك وعدتني أن تقبليني .

- پینیلوپي : لا . أنا وعدت أن أدعك تقبلني .
- ديكي : [يَحْتَضِنُهَا وَيَقْبِلُهَا] أيتها الوحش الصغير .
- پینیلوپي : هل انتهيت ؟
- ديكي : لم أنته تماماً .
- پینیلوپي : أخشى إذن أن تضطر إلى إرجاء ذلك
لوقت آخر ، فبالباب سيارة أجرة يكلفني
انتظارها بنسب كل دقيقة .
- ديكي : [متراجماً] وما حاجتك إلى سيارة ؟
- پینیلوپي : [بابتسامة] قدرت أن ذلك سيطفئ
حماستك .
- ديكي : لا تقولي إنك ستقومين الآن برحلة السيارة
السخيفة ؟
- پینیلوپي : وأي شيء يحول دون ذلك ؟
- ديكي : [بين مجروح الشعور وماخوذ] بين !
- پینیلوپي : [تنظر في ساعة معصمها] يا إلهي .
لقد تركتهم ينتظرون .
- ديكي : [يتناول كلتا يديه] والآن لاتغيظيني
إذهبي واخلمي عنك ملابس الرحلة الكريهة
هذه ، ولننعم معاً بتناول الشاي . ونهبي
بيتون لتقول إنك غير موجودة .
- پینیلوپي : يوسفني أشد الأسف أن أخيب رجاءك ،

ولكنى أخشى ألا أستطيع الإخلال بموعده
ارتبطت به .

: لا أحسبك جادة :

ديكى

: جادة فوق المألوف .

پينيلوپي

: ولكن كل شيء مختلف الآن يا بين

ديكى

العزيزة . ألا تعلمين أنى أحبك ؟

: ظريف منك أن تقول ذلك .

پينيلوپي

: أليس لقولى هذا أى معنى عندك ؟

ديكى

: ليس له معنى كبير .

پينيلوپي

: [بدأ يرتبك نوعاً ما] ولكن ، ثوبى إلى رشذك

ديكى

يا عزيزتى بين ، إنى أحبك بمقدار حبك لى .

: [بابتسامة صغيرة] لكن ماذا يحملك على

پينيلوپي

الظن بأنى أحبك ؟

: [مبلبل الفكر] أنت – أنت لا تقصدين

ديكى

أن تقولى إنك لم تعودى تحبيننى !

: [فى حياء وهدهوء] أنا – لم أعد أشعر بأن

پينيلوپي

العالم سينتهى عند ما تخرج من الغرفة .

: ماذا ! لم لا تقولين صراحة إنك لا

ديكى

تطيقين رؤيتى ؟

: لأن ذلك لا يطابق الحقيقة كل المطابقة ،

پينيلوپي

فأنا أميل إليك جداً .

ديكى : تميلين الى ! أنا لا أريد أن تميلى الى ،
بل أن تحيينى .

پينيلوپي : ليت ذلك ييدى ، فإنه ينقذنا من متاعب
كثيرة .

ديكى : أنا لا أفهم شيئاً ، فذلك أعجب ما سمعت
فى حياتى كنت أظن دائماً أنك
تهيمن بى حياً .

پينيلوپي : لماذا ؟

ديكى : لأنى أهم بك حياً .

پينيلوپي : منذ متى ؟

ديكى : دائماً ، دائماً ، دائماً .

پينيلوپي : تصور ذلك .

ديكى : أوه ، لست أجهل أنى تصرفت تصرفاً

أخرق ، وسأظل أندم على ذلك ما حيت .

أتخالين أنى كنت سعيداً ؟ أتظنين أنى

استمتعت بوقت مبهج ؟ لا ، لم أستمتع

كثيراً أحسب أن هذا هو ما حصل .

ألا يمكنك أن تغفرى لى ؟

پينيلوپي : هراء . أنا أغفر لك بالطبع ، فليس للأمور

أية أهمية .

ديكى : [بشارة قنوط] المسألة كلها لغز فى

نظري . لقد أحبتك دائماً يا بين ، ولم
أكف عن حبك لحظة واحدة .

بينيلوبي : أنت في غير حاجة يا عزيزي إلى كل
هذا الدفاع ، فإن الأمر لا يهمني على
الحالتين .

ديكي : ما كان أغباني ! كان على أن أدرك أن
تقبلك الأمر بهذا الهدوء لا يكون قط إلا
بسبب عدم حبك لي . وإذا لم تثر المرأة
فلا يعني هذا إلا أنها لا تحب زوجها . .
ألم تحبيني فيما مضى ؟

بينيلوبي : نعم .

ديكي : كيف يمكنك أن تكون متقلبة على هذا
النحو ؟ . لم يخطر ببال قط أن تعامليني
هذه المعاملة [تنظر بينيلوبي حولها كأنها
أضاعت شيئاً] عم تبحثين ؟

بينيلوبي : خيل إلى أنك فقدت روح الفكاهة ،
وكنت أنظر هل أستطيع العثور لك عليها .

ديكي : كيف أستطيع الاحتفاظ بروح الفكاهة
وأنا أتالم ؟

بينيلوبي : [تجفل لكلمته] تتألم ؟

ديكى : آلام المقضى عليه بالهلاك ، إني أريدك ،
إني أريد حبك .

[لا يرى وجه بنيلوبي ، وقد ارتسم عليه
تعبير عن تأنيب الضمير للألم الذى سببته له .
وتوشك أن تتحرك نحوه ، ولكنها تنأى عنها
بسرعة]

بينيلوبي : [بابتسامة ساخرة] يا حبيبي المسكين .

ديكى : [غاضباً] لا تهزنى بي .

بينيلوبي : لم أكن أهزأ بك ، ولكنى كنت أشفق
عليك .

ديكى : أتحسبن أنى فى حاجة إلى إشفافك ؟

بينيلوبي : أنا سيئة الحظ جداً إذ يبدو أنى عاجزة
تماماً عن إرضائك ، وأظن أنه من الخير
أن أرحل لمدة أسبوع .

ديكى : [يهب واقفاً] لا . إنك لن ترحلى .

بينيلوبي : [رافعة حاجبها] أى شىء يحملك على أن
تظن ذلك ؟

ديكى : لأنى أمنعك من الرحيل .

بينيلوبي : [مبتسمة] أتتوهم أنى سأخر على وجهى
إطاعة لأمرك ؟

ديكى : أنا السيد فى هذا المنزل ، وأنا مصمم على
أن تحترم كلمتى .

بينيلوبي : ما دمت تدفع يا عزيزي الإيجار والضرائب

فمن الحق أن تسوس هذا المنزل بقضيب

من حديد إن شئت . أما أنا شخصياً فلا

أريد في هذه اللحظة إلا أن أخرج منه .

ديكي : أنت لن تخرجي منه .

بينيلوبي : أتتوي أن تبقي هنا برغم إرادتي ؟

ديكي : يقيناً ، إذا اقتضى الأمر ذلك .

بينيلوبي : هم م م م . . .

[تقف وتتجه إلى الباب ، فيعرض طريقها ،

ويقلب الباب بمفتاح يضعه في جيبه]

بينيلوبي : قوة غاشمة .

ديكي : أظن الوقت قد حان لأريك أني لن

أسمح لأحد باستغفالي .

[تهز بينيلوبي كتفها وتجلس . ثم تقهقه على

حين فجأة)

ديكي : لا أرى موجباً للضحك .

بينيلوبي : ولكني أرى موجباً له ، فما أشبه هذا

بتصرف الأزواج في القرون الوسطى . .

وهل مستجمل غذائي الحبز القفار والماء ؟

ديكي : [بنضب] أغ . [ينظر إليها] أرجوك

يا بين أن تتعقلى الأمر ، لماذا بربك

تريدون القيام بهذه الرحلة السخيفة ؟

: أنا أرفض مناقشة المسألة قبل أن تفتح الباب .

بينيلوبي

: إن هذا الوقت من العام ليس وقت

ديكي

رحلات السيارات [فترة صمت . شخص بينيلوبي يبصرها أمامها دون أن تغير قوله التفاتاً) ستمطر السماء وابلاً مديراً ، وستصابين ببرد شديد ، بل لعلك تصابين بالتهاب رئوي (فترة صمت) أحس بانحطاط في القوى ، ولا يبعد أن أكون على وشك الإصابة بمرض أنا نفسي [تكتم بينيلوبي ضحكة ، وتظل تشخص في الفضاء . ديكي ينفجر متفعلاً] ولكن ألا ترين أن منعي إياك من الخروج لا يرجع إلا إلى عجزى عن احتمال غيابك عني ؟ إني أريدك . . أريدك إلى جانبي في كل لحظة ، أريدك أن تحببني . . . آه لو كنت تعلمين كم أحبك ، إذن لما قسا على قلبك هذه القسوة .

: [تلافت إليه ، وتحدثت في هدوء تام]

بينيلوبي

ولكنك لو كنت تحببني حقاً لما حاولت أن تحرمي هذه المتعة الصغيرة ، ولرغبت

في التضحية بنفسك أحياناً ، ولأوليت
رغباني نوعاً من الرعاية ، ولما عملت على
إقامة العقبات السخيفة حين يتيح لي الحظ
أن أستمتع ببعض التسلية .

[يظل ديكى بنظر إليها لحظة ، ثم يدور عنها
ويذرع المكان ذهاباً وإياباً وهو مطأطئ الرأس .
ويخرج المفتاح من جيبه ، ويضعه صامتاً إلى
جانبا فوق المنضدة]

: ما معنى هذا ؟

بينيلوبي
ديكى

: [في صوت كبير] أنت على حق ،
فما كنت إلا أنانياً جداً ، ولم أفكر إلا في
نفسى . ولعلى سببت لك السأم ، وقد
تزدادين ميلاً إلى إذا بعدت عني بضعة أيام .
[تتأثر بينيلوبي إلى حد أنها تكاد تعجز عن
مواصلة الدور الذى تمثله . ولكنها تجالد نفسها ،
وتستطيع بعد برهة أن تتغلب على رغبها في الارتقاء
بين أحضانها]

: لعلك تتكرم وتفتح الباب ما دمت قد
أغلقتة .

بينيلوبي

[يأخذ المفتاح في صمت ، ويتجه إلى الباب
ويفتحه]

: هل أفهم من هذا أنك لا تعترض على
قيامى بالرحلة ؟

بينيلوبي

ديكى : إذا كانت الرحلة تسعدك فيسرنى أن
أراك سعيدة . أنا لا أريد إلا سعادتك .

بينيلوپى : ألسـت توثر بقائى ؟
ديكى : لا .

[تجفل بينيلوپى قليلا ، فليس هذا هو ما
تريده منه]

بينيلوپى : أوه !
ديكى : لست أدري ماذا أصنع فى غيابك ! .
أحس كأنى بدأت أعرفك الآن فقط . .
وكأنه — أوه ، لا أعرف كيف أعبر
عن قصدى .

بينيلوپى : ولكنك قلت الآن إنك توثر رحيلى ،
ديكى : أنا لا أريد أن أفكر فى نفسى بعد الآن ،
ولنأمر أريد أن أفكر فىك أنت دون سواك
وكم يسعدنى أن أفكر فىك يا بين . . .
أريد أن أضحي بنفسى .

بينيلوپى : [تشر بالفرج] هلا ذهبت إلى غرفتى
ونظرت ما إذا كانت الخادم قد أنزلت
حقبتى إلى أسفل الدار ؟

[يخرج ويغيب لحظة ، وتظل هى بالحجرة وعلى
وجهها نظرة الفرح . يعود ثانية]

ديكى : نعم ، أنزلت بيتون بها .

پینیلوپی : إذن — [ترشفه بنظرة من تحت أهدائها]
دق لها الجرس ، وقل لها أن تعود بها
ثانية .

ديكى : [يكاد لا يصدق حسن حظه] بين !
پینیلوپی : أنت مسرور ؟
ديكى : أوه ، أنت طيبة جداً معي ، ولست
أستطيع أن أعبر عن مقدار عرفاني
بالجميل . آه لو تعلمين يا بين كم أعبدك !
[يخر راكماً على قدميه ، ويقبل يديها بشغف ،
وهي لا تكاد تستطيع منع نفسها من رفعه وتطويق
عنقه بذراعيها]

ديكى : أهنأك بارقة أمل لي ؟ أتظنين أن حبك
لي سيعاودك كما كان ؟

پینیلوپی : وكيف أدري ذلك ؟
ديكى : أوه ، لماذا لا نستطيع أن نعود كما كنا في

البداية ؟ أتذكرين كم كان يحب كل منا
صاحبه يومذاك ؟ كان من عاداتك أن
تنزلي معي لتوديعي عند انصرافي كل
يوم ، وأن تنزلي بسرعة عند عودتي
لتقبيلي . ثم أتذكرين كيف كنت
تجلسين على ذراع مقعدي صباحاً وأنا

أدخن غليونى ، وتشاركين معى فى قراءة
الصحف ؟

بينيلوپى : [تخفى ابتسامة] كم كنت تكره ذلك
قطعاً !

ديكى : أكرهه ؟ أنا لم أشعر بمثل تلك السعادة
طوال حياتى .

بينيلوپى : آمل على أية حال أن نظل دائماً صديقين
حميمين .

ديكى : [يهب واقفاً] صديقين ! ما فائدة أن
تجودى على بصداقتك بينا أنا أكاد
أموت لهفة على حبك ؟ كيف يطاوعك
قلبك على أن تشقبنى إلى هذا الحد ؟

بينيلوپى : [تبتسم فى ساحة] ولكنى لن أشقبك ،
ولأننا آمل أن أظل لطيفة معك دائماً .

ديكى : وماذا يهمنى هذا ؟ هل تعدينى يا بين أن
تحاولى أن تحبينى ؟

بينيلوپى : [بابتسامة] نعم ، سأحاول ذلك إن شئت .

ديكى : سأحملك على أن تحبينى ، ولن أهدأ حتى
أستوثق من حبك لى .

بينيلوپى : وعند ما تستوثق من ذلك ، أحسبك لن
تعيرنى أقل اهتمام ؟

ديكى

: جريينى ! جريينى ! [يقبل يديها ثانية .
ولا يرى وجهها بينما تبسم وتهز رأسها] أنا لم
أدرك من قبل أننى مغرم بك إلى هذا
الحد ، إن مجرد تقبيل يديك يفعمنى
نشوة .

پينيلوپى

[تطلق پينيلوپى ضحكة صغيرة وتتلصص منه]
: لا بد لى الآن من الذهاب إلى أسرة
هنريسون لأخبرهم بأننى لن أستطيع
الذهاب معهم فى الرحلة بالسيارة .

ديكى

: ألا تستطيعين مخاطبتهم تليفونياً ؟ فأنا لا
أريد أن أدعك تغيبين عن بصرى .

پينيلوپى

: ليس لديهم تليفون ، وأسهل على أن
أذهب بنفسى .

ديكى

: حسناً جداً . وما دام لا بد لك من ذلك
فاذهبي [تبسم وتتجه صوب الباب ، وعندما
تصل إليه يستوقفها] أوه ، يا بين !

پينيلوپى

: نعم .

ديكى

: متى ستعودين ؟

[عندما تبتين مغزى عبارته تومئ برأى ضاحكة ،
وترسل له قبلة سريعة يدها ، وتنسل من الباب]

النهاية

المسرحية القادمة

الغريبان

Les Corbeaux

تأليف: هنري بيك

Henri Becque

ترجمة

الدكتور محمد محمد القصاص

مراجعة: الدكتور محمود محمد قاسم * تقييم: الأستاذ عبد الرحمن صدقي

روائع المسرح العالمى

سلسلة مسرحيات عالمية
تصدر يوم ٤ من كل شهر

صدر منها:

تأليف: أنطون تشيكوف
ترجمة: الدكتور على الراعى

١- السقيقات الثلاث

تأليف: هنريك إبسن
ترجمة: عزيز سليمان

٢- أعمدة المجتمع

تأليف: آدموند رومان
ترجمة: عباس حافظ

٣- سيرانودى برجرال

تأليف: أوسكار وايلد
ترجمة: عباس يوسف

٤- مروحة ليدى وندرمير

نصرها، وزارة الثقافة والإرشاد القومى
الإدارة العامة للثقافة

الناشر: الشركة التعاونية للطباعة والنشر
١٤ شارع عماد الدين ٦١٣٠٣ - القاهرة

طبعة كورنا ناسون وشركاه

٥ شارع رند، طريق مصر - القاهرة، ١١١١٨

الطبع ١٢ شارع ١١١٨ - ١١١١٨

روائع
المسرح العالمى
سلسلة مسرحيات
عالمية

ملتزم النشر والتوزيع الشركة العقارية للطباعة والنشر

یہ طلبہ سے من:

مكتبة المشي - بغداد
الشركة العربية - بيروت
مكتبة الخانجي - القاهرة

التمن ۱۰ قروش